تحولات

نحو مجتمع جديد

عدد خاص

الثقافة السورية اليوم

شهرية . فكرية . ثقافية . ص.ب 7179-113 بيروت

العدد 80 آب 2013 24 صفحة 2000 ل.ل

www.tahawolat.net

سوريا ما بين النيران.. ثقافة جديدة!

• المرأة الوطن للتشكيلي السوري عبود سلمان

أيها المثقفون السوريون... اتحدوا

◗ اقتربت الأزمة السورية من عامها الثالث، وما زالت النيران تحصد يومياً العشرات من السوريين، وتهدم البُنى التحتية، وتدّمر تاريخ أمة، وفي ظل انسداد الآفاق السياسية لحلول تحقن دماء الشعب السوري، كان لا بدّ من البحث عن رؤى جديدة نحاول من خلالها تقريب وجهات النظر.

مما لا شك فيه أن المثقفين السوريين هم الجزء الأهم في معادلة السلام، وعليهم يقع الدور الأكبر في لمّ الشمل، وجمع الشتات السوري تحت سقف سورية جديدة، الثقافة اليوم هي المخرج الأسلم لكل السوريين، ولا بدّ من توحيد الرؤى ورصّ الصفوف، والالتزام بالثوابت الوطنية لبناء دولة تقوم على نظام ديمقراطي ركيزته الأساسية الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، نظام يضمن المواطنية ويحفظ كرامة الإنسان السوري.

المثقف الذي دفع جزءاً من حياته في السجون، أو قضاها في بلدان الشتات هو الوحيد الذي يملك القدرة على إعادة ترتيب المعادلة وترجيح الكفة لصالح الشعب في ظل عجز السياسيين عن ذلك، بإمكانه إحداث التغيير حتى لو كان معتكفاً بعيداً في صومعته عبر رسالته السامية التي يجب أن تُعلن وتكسر حواجز سنوات القهر والخوف، وتناهض العنف والتطرف. وذلك لن يتم إلا وفق ثوابت ومعطيات يلتزم بها المثقف قبل غيره وأبرزها:

. مقاومة العدو الإسرائيلي.

. رفض العنف والاستبداد بكل أنواعه وأشكاله من أي طرف كان.

. الحفاظ على وحدة سورية وتماسكها ورفض أيّ مشروع أو محاولة لتقسيمها.

. رفض أي محاولة للتدخل الخارجي والتصدي له.

. رفض كل منطق يرسخ التكفير ويمنع التفكير ويلغي الآخر لأنه يتعارض مع تاريخ سورية الحضاري التي هي خير نموذج يُحتذى عن الحضارة المنفتحة المتفاعلة والعقلانية.

. احترام الاختلاف ورفض منطق الإلغاء والصنمية الظلامية.

. العمل على بناء نظام وطني مدني ديمقراطي يضمن حرية الرأي والتعبير ويصون المواطنية والديمقراطية.

أظهرت الأحداث التي تشهدها سوريا ارتفاع منسوب العنف والكراهية وتنامي الاحتقان والحقد والضغينة، ومحاولة ترسيخ الانقسام والطائفية والمناطقية والعشائرية في بعض الأماكن عبر تداخل عوامل عدة داخلية وإقليمية ودولية، أدى ذلك إلى تعميم ثقافة الموت المجاني وتدمير الحضارة والتاريخ واستهداف الأوابد الأثرية.

يجب على المثقفين السوريين أن يوحدوا موقفهم، دون التحزب لطرف ضد طرف، فعليهم أن يتحزبوا للوطن، وأن يحثوا الخطى لبناء نظام جديد يضمن حق المواطن السوري ويحفظ كرامته، وعليهم أن يتكتلوا من أجل سورية، والمحافظة على وحدتها وتماسكها، وحمايتها من العودة إلى مراحل ما قبل الدولة، وهذا ما نراه جلياً في بعض المناطق السورية التي خرجت عن سيطرة الدولة لتقع بيد الجماعات الإسلامية المتطرفة والمتشددة التي عاثت بها خراباً.

إنّ الحفاظ على المجتمع السوري متماسكاً كالبنيان المرصوص، ومنعه من العودة إلى مكوناته البدائية يُعد واجباً وطنياً، لأن خسارة وحدة المجتمع تعني الفشل في بناء الدولة والعودة بالمجتمع إلى مكونات مراحله الأولى وبالتالي يصبح بناء الدولة مستحيلاً.

إن الثوابت القومية للنظام والمبادئ الثورية للمعارضة لا قيمة لها إن لم تكن ضمن مجتمع موحد متماسك متوحد حول الحق في الحياة والكرامة، يحترم التعددية التي هي جزء لا يتجزأ من تاريخنا وهويتنا لنتمكن من بناء الدولة الجديدة مؤمنين بأن الحق في الحياة والكرامة إذا فقدتا لا يبقى معنى لأي قيم أو ثوابت.

«تحولات» في عددها الثمانين سلطت الضوء على الحراك الثقافي السوري في زمن المخاض العسير الذي تعيشه البلاد، وخصصت العدد ليكون «تحية لسورية الكرامة والإنسان» للحديث عن الحركة الأدبية السورية، وأفردت مساحة للبحث في واقع الدراما السورية، خلال عامين ونصف من عمر الأزمة.

أفردت «تحولات» المساحة لأدباء وفنانين ومثقفين سوريين للتعبير عن خلجات أرواحهم ووجعهم الإنساني، وحاولت، من خلال طرح رؤى مختلفة، الوصول في نهاية المطاف إلى حالة ثقافية إنسانية توحد الصف في وجه الاستبداد أياً كان مصدره.

هو نداء إلى مثقفي سورية للقيام بثورة ثقافية جديدة، ودعوة للحوار والاتحاد ضمن بوتقة واحدة وأهداف واحدة وروح واحدة لنبذ العنف والطائفية ومواجهة الاستبداد والدفاع عن حياة الإنسان وصون كرامته، والحفاظ على ما بقي من تاريخ الحضارة الإنسانية في سورية.◖

• أسرة التحرير

المدير المسؤول: سركيس أبو زيد
إدارة التحرير: زهير فياض
مدير التحرير: زاهر العريضي
أمين التحرير: فراس الهكار
العلاقات العامة: عائدة سلامة
الإخراج الفني: نينار الأعسر

هيئة التحرير:
نجيب نصير، نحاتي ميداني،
أسماء وهبة، عبير حمدان،
يامن الدقر، أدهم الدمشقي،
سلام الزبيدي، نادي قماش،
عامر ملاعب

تصدر بالتعاون مع مكتب الداراسات العلمية برئاسة منصور عازار، بيت الشعار، المتن الشمالي
تلفاكس: 04914510
تصدر بموجب قرار رقم 82 تاريخ 1981/7/6 صادر عن وزارة الإعلام في لبنان
الناشر: دار أبعاد بيروت – شارع الحمرا – بناية هيونداي – ط 4
هاتف: 01751541/ 71341622
توزيع: الناشرون بيروت – مشرفية سنتر فضل الله – ط 4
هاتف و فاكس: 01277007/ 01277088 خليوي: 03975033

دمشق مكتب عائدة سلامة للإخراج الفني والتحضير الطباعي – عدوي خلف دار الشفاء – سعر العدد 25 ل. س
تيليفاكس: 44426588 خليوي: 0933331402 – E- mail:aydasalameh@yahoo.com
المواد المنشورة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

للإشتراك و الإعلان الاتصال على 01751541 www.tahawolat.net mail@tahawolat.net

www.khabaronline.com | خبر khabar online
أبعد من الخبر

المثقف السوري رسولاً..!

• د. محمود العبد الله

تميزت الحالة الثقافية في سوريا طوال عقود أربعة بإتباع المثقف السوري رغماً عنه حِمية فكرية خالية من ألق الأفكار السياسية مع تراكمٍ للشحوم الثلاثية وكولسترول الخنوع والخوف من غياهب سجونٍ يُفلت منها شعراء البلاط فحسب.

كان للقبضة الحديدية فعل لقاح النسيان الجزئي بحيث تُرِكَ للمثقف التفكير بإثارة القضايا الإنسانية في الموزمبيق بينما تسطَّحت ذاكرته تماماً عن آفات معيشة الإنسان السوري وحياته وما أكثرها، غير مستثنين من ذلك الجيل المثقف المُسيَّس الذي غُيِّب في السجون أكثر من عقدين، فمنهم من خرج متوارياً عن الأنظار أو تحزَّب سياسياً بشكل مؤدلج وصولاً إلى «إعلان دمشق»، ومنهم من حيَّد نفسه مدعياً الثقافة وبدلاً من الانكفاء على النخبة انكفأ على ذاته، أمَّا من تبعه من جيلٍ شابٍ فقد ورث الإيديولوجيا ذاتها من سابقه، لكنه استطاع بشكل أو بآخر أن يروق للنظام فاعتلى منابره المرعيَّة.

كان اتحاد الكتاب العرب السوريين مجموعة من الأخصائيين النفسيين الذين امتهنوا طوال العقود الأربعة الماضية دراسة تشوهات الأجنة الفكرية . بمعيارهم . التي يحبَل بها المثقف السوري. فقاموا بعمليات إجهاضٍ لكل جنين فكريّ لا تحمل «كروموزوماته» فكر البعث ومشتقاته من أحزاب ما سُمّيَ بالجبهة الوطنية، قاتلين بذلك روح الإبداع الذي كان من شأنه نقل البلد بسلاسةٍ من نظام لآخر بكل هدوء، فعاش المثقف السوري ازدواجيةً بالشخصية نتيجة الأدلجة الممنهجة لأفكاره من المؤسسات الراعية للفكر آنذاك، يعيش الحالة ونقيضها من دون أن يرفَّ له جفنٌ ثقافي موردين مثالاً واقعيّاً بسيطاً. فأثناء سريان موضة مقاطعة البضائع الأميركية، منع طلاب جامعة بيروت كل زملائهم الطلبة من تناول الوجبات التي تقدمها مطاعم «ماك دونالدز» الأميركية كخطوة في المقاطعة، ما اضطر رجال الأمن اللبناني التناوب على حراسة أبوابها، بينما أصرَّ المثقف السوري على مغادرة دمشق إلى بيروت لتناول «الهمبرغر»، عائداً إلى دمشق مرة أخرى داعياً لمقاطعة البضائع الأميركية بفيهٍ لمَّا يمضغ «الهمبرغر» بعد.

وكذا قبوله في اتحاد الكتاب العرب كان المثقف السوري مُدَجَّنَ الأفكار نحو نتيجة لا تحتمل التفكير سوى بسلوكٍ أو حلٍّ واحدٍ بديهي هو الموالاة الضمنية المطلقة لسلوك المؤسسة الحاكمة.

عاش المثقف السوري بهذا السقف معتمداً على ثقافة الإسقاط مرتكزاً بأسٍّ مرجعيته على كتاب كليلة ودمنة الشهير للفيلسوف «بيدبا»، ساعده بترجمة ما يريد قوله للمتلقي نُقَّادٌ تخرجوا من مؤسسة القمع الفكري ذاتها، ليسقطوا جام غضبهم على مدير المؤسسة بالطرح الروائي والمسرحي والشعري، والذي كان الذقن القريبة السهلة النتف بالنسبة لمثقفنا، مُراداً بها السلطة الحاكمة التي كانت تقهقه عالياً بسقف الحرية هذا، وبأول نافذة بوح قفزوا من المدير العام لرأس هرم السلطة، فقالوا ما يريدونه صراحةً لتتسع المفارقة بذهن المتلقي الذي وجد شطحاً بالطرح تركه في متاهةٍ ذهنيةٍ بهذا الانقلاب مما ترك مساحة واسعة لعدم مصداقية معظم ما تم طرحه بأقلام هؤلاء المثقفين وعدم الإيمان بجدواه على أرض الواقع، واستند المتلقي بهذه المحاكاة العقلية على وجود مثقفين من الطراز الرفيع فشلوا بتوحيد الرؤية على الأرض حول آلية خروج المواطن السوري من هذا المأزق الذي وضعتهم به «الثورة»، مثقفون يرى بعضهم أنه بعد أكثر من مئة ألف قتيل وملايين النازحين بأن الشعب السوري يجب أن يتغير، وأنَّ على الأم تحت ظل القصف تعليم أولادها الفصل بين الدين والدولة متناسين هم وغيرهم من مثقفينا بأن «للشعوب كلمة أخيرة»، فهكذا تقول المقابر الجماعية، كما يرى عبد الله ثابت. ولأنَّ الشعوب هي من تغير المعادلات فقد وجه الشعب السوري لمثقفيه صفعةً عندما استطاع ومن دون مساندتهم أن يكسر قاعدة الخوف والصمت اللذين لازما سلوك المثقف السوري، وكان للشارع السوري الفضل الكبير بعجن بعض المثقفين في الشارع ليصبحوا فيما بعد بعض نخبه السياسية.

لم يكن يحلم المواطن السوري من جوقة مثقفيه سوى أن يكونوا كمجلس شيوخ روما الذين كانوا ينصِّبُونَ على مدخل المدينة منادياً معه بوق ينادي لدى عودة أيِّ قائدٍ منتصر قائلاً:

تذكَّر أنكَ بشر... تذكَّر أنكَ بشر.

فهل فعلها مثقفونا؟ سؤال برسمهم جميعاً!

ما نتمناه من المثقفين نحن من نكبوا بهم رسلاً لنا. تَمَثُّل قول نزيه أبو عفش:

اسمعوا:

الأموات على الشاشة أمواتٌ حقيقيون....

أمواتٌ من لحمٍ وعظامٍ وخوف موت

أمواتٌ ماتوا

أمواتٌ تعذّبوا

أمواتٌ صرخوا قبل أن تجيء الكاميرات:

«أيها العالم الكلب

نبصق على شرفك».

فهل يستطيعون؟

• كاتب وصحفي سوري

يحدث في سوريّة الآن..!

• محمد وليد عرسان

إن مقاربة الواقع الثقافي لأي مجموعة بشرية يقتضي بالضرورة متابعة تلك المجموعة عبر تاريخها أولاً؛ ومن ثم الأخذ بالاعتبار المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والجغرافية، وطبيعة النظام السياسي، والتعليم والقضاء إلى غير ذلك، مما تستند إليه حياة الفرد في الجماعة.

إن تحول الإنسان من كائن بيولوجي إلى كائن معرفي، لا يتحقق ما لم يتوفر له المناخ المناسب؛ والذي يحتاج إلى معطيات متداخلة، ومترابطة، ليكون. وقد توفر للسوريين ما لم يتوفر لكثير سواهم من سكان الأرض عبر تاريخها، فالبعد التاريخي للإنسان السوري، والذي يمكن اعتباره الأس الذي يرتكز عليه وجوده، والموقع الجغرافي، قد ساهما إلى حد بعيد في تشكيل هوية ثقافية، ذات بعد إنساني، استندت إليه غالبية الحضارات التي قامت، والتي كان التعايش أحد سماتها، وقد استمرت بذلك حتى العصر الحديث، حيث أخذت تتبلور تلك المعطيات، وتؤسس لوجودها المستقبلي، الذي بدأت معالمه تأخذ شكلها في الأدب والفن؛ فأبدع الأديب السوري، وانتشرت الدراما السورية، وأخذت موقعها المتقدم على الشاشة الفضية، وكان للفنانين التشكيليين تميزهم الملحوظ، واحتضنت المهرجانات الأصوات الأدبية، في الشعر والقصة، وقد ساهم دخول الأنترنت إلى حياة السوريين بنقلة نوعية على المستوى المعرفي، إلا أن معوقات التنمية، هي ذاتها معوقات أي نهضة، في أي مجال، وجزء من مشكلة سورية تتمثل في التنمية التي تعاني من معوقات كثيرة؛ حالها حال بقية البلدان العربية، والعالم الثالث. فالفن والأدب هما انعكاس لصورة المجتمع، وخاصة في البلدان النامية، إلا أن الواقع السوري الحالي تخطت قسوته ما تواضع عليه الناس في حروب العصر الحديث؛ لدرجة أصبحت معها فانتازيا الخيال في الفن والأدب تحتاج إلى إعادة تأهيل، لتستوعب الواقع، وتعيد إنتاجه.

إن الدم الذي لم يجف بعد، يحتاج إلى أدب يؤرخه، والموت الذي يسير في الطرقات، يحتاج إلى فن يخلده، والدمار والرعب والتشرد، وغير ذلك من نتائج الحرب، جعل من سورية احتمالاً يبحث عن اليقين الإنسانيّ. أما الكلام عن مواكبة الثقافة لتحولات المجتمع فله شجون، إذ أن أدب الوقت الراهن يُمكن أن يُسمى أدباً وصفياً؛ ولا يمكن أن يتجاوز هذا المسمّى، ما لم تتغير الظروف. فالأدب والفن لا يستطيعان أن يحدثا التغيير ما لم يسترح المتلقي، ويتابعهما، والمتلقي السوري يُدفع باتجاه استحقاقات شديدة القسوة، وتلك الاستحقاقات قد أخذت في طريقها كل الشعب السوري، المنتج والمتلقي على حد سواء. إننا جميعاً نعيش وفق مبدأ الاحتمال..!، ما زال اليقين بأي شيء بعيداً، وأبعد من تصورات بعض الأدباء والفنانين، لهذا تراهم في سورية قد تعطلوا تماماً إلا من رحم ربي من المناضلين الذي يتابعون اللحظة ويؤرخونها بأدق تفاصيلها، والطارئين أدبياً وثقافياً وهؤلاء لن تخلدهم الألقاب المجانية، أما النتاج الذي زحف ليظهر الآن، ما كان له أن يظهر، لولا الأزمة التي عصفت بالبلد، وزعزعت مقومات وجوده، لذلك فإن هذا النتاج يعتبر طارئاً، وآنيّاً، تسلق الفراغ، ولم يملأه، إنه ابن الأزمة، وأبناء الأزمات كلهم غير شرعيين، إذا ما استثنينا بعض النتاج الأدبي الثقافي الحقيقي الذي قارب الوجع السوري بشكل أربك متشددي السلطة والمعارضة على حد سواء.

• ماجستير علاقات دولية

الكتابة السورية في تداعيات الأحداث والإنشغال بالتجريب

نص الأزمة يتمرّد على أزمة النص!

• زيد قطريب

ينهمك السوريون اليوم في كتابة نصّهم الجديد، بكامل كارثيته واحتمالاته واقتراف التجريب فيه.. وفي حين يعمل البعض بهدوء على روايات تتعلق مباشرة بالأحداث، فإن أبرز معالم النصوص تظهر في الشعر الذي يطل عبر نوافذ الفيس بوك أو على هيئة كتب إلكترونية، فالمعجم السوري الجديد يؤكد أن ثمة انقلاباً في أفق الكتابة بدأ يتشكل مع شهور الأحداث الأولى حيث تفاجأ السوريون بوقوفهم وجهاً لوجه أمام قضايا من العيار الثقيل تتعلق بالانتماء والحرية والإسلام السياسي وما نتج عن كل ذلك من تطرف وطائفية وانهيار منظومة كاملة من الخطوط الحمر التي كانت حتى وقت قريب تعد من المحرمات.. نعم المعجم السوري يتشكل بطريقة مختلفة هذه المرة ويضيف إلى القاموس مفردات قاسية وناتئة في الذائقة التي استكانت زمناً طويلاً وأدت فيما أدت إلى أحكام نقدية راحت تجزم بسلسلة مآزق تعصف بالشعر وتهدد بترجله من مكانته العالية كديوان للعرب ليتحول إلى ما يشبه التراث!.

يستطيع متتبع النص السوري أن يكتشف مباشرة موضوع شق عصا الطاعة على عدمية الحدث، ويعثر على كثير من ردات الفعل التي قسمت الكتاب إلى أجزاء على صعيد المواقف، أما على صعيد الكتابة، فهناك كتابة تنمو في الظل وهي تنتمي إلى السرديات في الغالب، أما الشعر، فبقي الفن السريع القادر على اقتناص اللحظة وطبعها مباشرة «كبوست» على الفيس، أو عبر المساهمة في إنشاء لقاءات أدبية أخذت شكل الدفاع بالكلمة عن مفهوم الحياة في دمشق كمدينة تعد الأقدم في العالم، وهنا كان على الشعراء أن يقاوموا التلاشي برهانهم على النص الذي يكتب الآن، وأن يرفعوا وتيرة التجريب فيه إلى الحدود القصوى تمشياً مع سخونة الحدث وزخم المفردات الهائلة التي راحت تطفح من المخيلات كأنها تقول للناس: اكتبوني.. في هذا الجو، نشأ منذ عدة أشهر لقاء أسبوعي شاء أصحابه تسميته «ثلاثاء شعر» يقام كل يوم ثلاثاء في مقهى بدمشق القديمة، وهو عبارة عن ورشة عمل إبداعية تقتفي أثر النص الراهن بهدف الإضاءة عليه وإغنائه عبر الحوار والتواصل بين الشعراء، بالإضافة إلى صياغة عناوين إشكالية لحلقات الحوار التي يستضيفها اللقاء كموقف الإسلام من الشعر، والعلاقة مع النص الآرامي السوري القديم، والانعطافات التي سببتها الذائقة الصحراوية بعد دخول الإسلام للمنطقة والخلط الذي حدث بين الماورائيات وموضوع الإلهام الشعري.. كلها قضايا تحضر بقوة في «ثلاثاء شعر» الذي أفرد مساحات لشعراء ضيوف لهم تجارب مهمة في الكتابة، فاستضاف عبر خدمة «سكايب» الشاعر السوري محمد عضيمة من اليابان، كذلك أقام حواراً مع الشاعر منذر مصري عبر «التشات» من اللاذقية، وفي خطوة أرادها من أجل البحث عن الشعرية في الفنون الأخرى، استضاف اللقاء فنان الكاريكاتير هاني عباس الذي يعد من أبرز الفنانين الذين واكبوا الحدث السوري برسومهم.. هذا اللقاء يشكل جانباً مهماً من المشهد لأنه يقدم مجموعة من الأسماء الشابة غير المكرسة في المشهد الشعري، وهم في الغالب ممن لم يطبعوا مجموعات شعرية إنما نصوصهم تشير إلى معالم ذلك النص الذي يمكن تسميته بالجديد على صعيد الذائقة والأسلوب والحساسية التي تقف وراء إنتاجه.. في هذه الكتابات نعثر على الكثير من المفردات الجديدة مثل «القناص، القذيفة، الحواجز، الإرهابيين، التطرف...» وربما تكون أهم مفردة يُحتفى بها هي «الموت» ومترادفاتها رغم أننا لا يمكن أن نصف هذا النص بالكئيب أو المتقهقر تبعاً لسوداوية الألفاظ فيه، فمن يتدرج مع زمن كتابة هذه النصوص يكتشف موضوع التأقلم مع هول الحدث على أكثر من صعيد خاصة في تمرد هذا النص وتغريده خارج سرب المألوف واستحضاره الأسئلة الساخنة حتى في حالات قصائد الحب.. في هذا اللقاء تبرز أسماء جديدة مثل: أحمد ودعة، معاذ زمريق، أحمد سبيناتي، أحمد علاء الدين، جوزيف حداد.. وجميعهم شباب عشرينيون يقولون إن قضيتهم الأهم اليوم هي اقتفاء النص الراهن والجديد.. من فضاء هذا اللقاء، يقول معاذ زمريق في نص بعنوان

«بكتيريا الكره لهذا العالم»:

«أشعر بالضيق نحو هذا العالم
المقيت كربطات العنق
الغبي كأبناء الملوك
أغني بصوت مبحوح عن الوطن
والحرية
وأبتلع حبوب منع الحب مع البيرة
كما كنت أرضع الرعب في طفولتي
أفلام الرعب في الطفولة
ليست عن «الزومبي» كما اليوم
أفلام الطفولة كانت عن «الله» !!
أغني بصوت مبحوح عن الحرية
والوطن
تفوح مني بكتيريا الكره
وحانقٌ جداً
على الكتب التي تُشعل حطب عزلتي
على زوربا القديس وغريغوري المسكين..».

على ضفة أخرى، فإن لقاءً أسبوعياً آخر أيضاً يقام كل يوم أربعاء تحت عنوان «شعر وخمر» في مشغل الفنان مصطفى علي بدمشق القديمة، وهو أشبه بالاحتفاء بالشعر إذ يقتصر على القراءات التي يقدمها الحاضرون حيث الهدف الأهم هو المحافظة على حيوية الحياة في المدينة رغم ما تكابده من ظروف صعبة... هذان اللقاءان يشكلان الواجهة الحاضرة إعلامياً على صعيد العمل الجماعي المختص بالأدب والشعر، وهما يقدمان بالتالي تلك النصوص التي تبدو وهي تشحذ ذائقتها المختلفة كمقدمة ربما تشكل انعطافات في النص السوري مستقبلاً..

يعتقد كثيرون أن تأثيرات ما اصطلح على تسميته

«الأزمة السورية»، سيؤدي لولادة كتابة تتجاوز الأزمات التي يتم تداولها نقدياً بشكل كبير منذ سنين طويلة، فما تحدثنا عنه من فضاءات جديدة بدأت تدخل بقوة إلى القصيدة السورية وتدفع الشعراء إلى البحث عن أدوات مختلفة وتقنيات غير مستخدمة، أصبح هو القاسم المشترك بين جميع من يزاولون الأدب اليوم، فمن النادر أن تلتقي كاتباً لا تكتشف أنه يعمل على نص فيه تجريب مختلف عن السابق، حتى فيما يخص السرد والرويّ، فإن مشاريع الكتابة تبدو على قدم وساق وهذا أمر واضح من أخبار الكتاب أنفسهم..

على جدران الفيس بوك، جزء مهم من المشهد الشعري السوري الذي ينتظر الظروف المناسبة من أجل طباعته أسوة بالدواوين المكتوبة في الظروف العادية، هذه المشاريع تبدو مؤجلة إلى حين استقرار الأمور، لكن بعضهم عمد إلى إصدار مجموعته ضمن كتاب إلكتروني، مثل الشاعر قيس مصطفى مثلا، أما هوية النصوص وشخصيتها فتظهر منطوية تحت البند الذي شرحناه سابقاً وهو المفردات الجديدة وشحذ الأدوات والبحث عن ضفاف تختلف جذرياً عن السابق.. يكتب الشاعر عادل محمود في أحد «بوستاته» على الفيس:

«الغضب... فائض الزحمه.
الخذلان... فائض الوحده.
الصرخة ، أو الصمت ، كلاهما يعني...
أن الحياة في مكان آخر»!

في حين تبدو نصوص الشعراء الشباب حاملة ملامح مختلفة، يكتب الشاعر الشاب أحمد ودعة على صفحته:

«فتشوا في جيوب الخراب
ومحفظته
ستجدونني مدوناً في السطر الأول
من جدول أعماله اليومية..».

في جميع الأحوال، فإن فن الشعر يبدو المرشح الأول للظهور بسرعة أكبر من الفنون الأخرى تبعاً لتقنيات كتابة الشعر وسهولة نشره على الانترنت، وتفضيل الناس قراءة المقاطع القصيرة على الشبكة أكثر من نصوص السرد والمطولات، تلك النصوص التي تنتظر طباعتها في كتب ريثما تهدأ الأحوال كما يقول الكتاب، تقترح ذائقة مختلفة وأسلوبية ربما تتبلور في المراحل القادمة على نحو أكثر وضوحاً ونضوجاً، حيث القاسم المشترك بين جميع الكتاب رغم اختلاف ألوان الكتابة لديهم، هو كيفية خروج نص الأزمة الذي يكتب اليوم، من أزمة النص التي ورثها من تاريخ طويل؟.

• شاعر وكاتب سوري

الحراك الثقافي السوري في ظل الأزمة ما بين العقم الفكري وتسجيل المواقف

• فراس الهكار

• بيكاسو– إلـ غيرنيكا (من أرشيف الإنترنت)

إن النتاج الفكري الحقيقي هو ذاك الذي يفرزه تلاقح الأفكار ليؤسس لحالة ثقافية إنسانية خالدة بالدرجة الأولى، أما اللون الواحد فهو مقيت ينتج عنه «عقم فكري»، والركود يتحول إلى آسن، ينقل الثقافة بعد فترة وجيزة إلى مرحلة الموت السريري. إن ما كان يحدث من إرهاصات ثقافية في المجتمع لم يتخط الفقاعات الإعلامية من خلال العناوين البراقة والبحث عن الأمجاد الشخصية بعيداً عن التفكير في بناء جيل متماسك، ويبقى السؤال هل اختلفت الايديولوجيا عن العناوين المطروحة على مدى عقود من الزمن؟ أم أنها بقيت جامدة وكل ما يخالفها مُحرم؟ فماذا يعني أن تمنع رواية من التداول؟، أو تحجب موقعاً إلكترونياً؟، تنغلق فكرياً وتنفتح اقتصادياً، ألا يخلق هذا حالة عدم توازن، بين مقومات تكوين المجتمع المتماسك الذي تسعى لجعله مجتمعاً مثالياً على كافة الصعد؟.

ما يحدث الآن في المدن التي عادت إلى زمن ما قبل الدولة، هو تكرار لما كان يحدث على أيامها، ولكن بتطرف أكثر، دون التفكير بالحفاظ على خصوصية المجتمع المتنوع، إلا أن حالة الفوضى العارمة والصخب لا تسمح بتحقيق ذلك.

«تحولات» استطلعت آراء أدباء ومثقفين سوريين حول تأثير الأزمة والأحداث الدامية في سورية على الحركة الثقافية والأدبية.

خواتمي: المشهد لم ينضج بعد..!

قالت الأديبة سوزان خواتمي، (روائية سورية): «بداية أتحفظ على استخدام عبارة «الأزمة السورية»، للدلالة على «الثورة السورية»، أما عن تأثير «الثورة السورية» على الحراك الثقافي فمن المبكر الاستدلال على نتائج قاطعة وفقاً لوضع حافل بالمتغيرات اليومية والذي يُنتج منطقياً حالة من رد الفعل، يصعب تقييمها كقيمة إبداعية مؤثرة أو حقيقية».

«العلاقة بين المثقف السوري والحركة السياسية الفاعلة شبه مقطوعة»

وترى خواتمي، «إن العلاقة بين المثقف السوري والحركة السياسية الفاعلة (إن كان ثمة فعل) شبه مقطوعة، وتقتصر على المثقف المطيع والراضي والمؤيد للسلطة (في حالات ضيقة) الناقد لها بشكل سطحي، وهذا الأمر متاح لأسماء بعينها تمتلك منبراً مدعوماً من المخولين على الفعل الرقابي، فسوريا تفتقر إلى المؤسسات الثقافية المستقلة، الوضع الأمني لم يكن يتيح مثل هذا التسيب».

وتضيف خواتمي، «إن المنبر الثقافي والصورة الثقافية والمنتج الثقافي السوري في العموم لم يشكل بنية واضحة وحتمية لصنع متغيرات مؤثرة بشكل مباشر في الجماهير، وهذا لا ينفي تأثيرها غير المباشر عبر أقلام كانت تكتب من منافيها وأخرى حاولت صنع نوافذ من خلال ثورة الاتصالات، لكنها لم تحقق الإطلالة المطلوبة على نطاق واسع وكبير من الشباب، فحتى خدمة الإنترنت غير متاحة للجميع».

وتتابع الروائية حديثها، «إن ما ذكرته آنفاً يخص حالة المثقف السوري وتأثيره على «الثورة السورية»، أما عن «الثورة السورية» وتأثيرها في المثقف السوري، فبالطبع فتحت «الثورة» مجالات لا بأس بها للشعور بالحرية، وكسرت حاجز الخوف والرهبة، وأتاحت لأقلام عدة استعادة مجد الكلمة والتنفيس عن حالة من الكبت تعود إلى تاريخ كامل من قواميس الحذر، وانتقاء الكلمة المناسبة في المكان المناسب، هذه الأقلام ظهرت وأعلنت بأريحية عن مواقفها الواضحة سواء في الكتابة المقالية اليومية (في صحف الخارج طبعاً) أو في النصوص المسرحية، أو في الأعمال الموسيقية والغنائية وبعض

• سوزان خواتمي

«تعزيز ثقافة المواطنة المبنية على حقوق الانسان»

الأفلام السينمائية القصيرة، وربما سنرى لاحقاً أعمالاً تلفزيونية سينمائية درامية».

وتضيف الأديبة، «تحدت «الثورة» احتكار الدولة ومحاصرتها للمنتج الثقافي السوري، وتحدت أيضاً المثقف التقليدي، بما يمكن تسميته ثقافة جديدة خاصة «بالثورة» لا تتعلق بالمثقفين بل بالثقافة نفسها.

النص الأدبي الآني حالة انفعالية أم واقعية سحرية؟

وتؤكد خواتمي أن هناك ثقافة جديدة برزت على الساحة كانت نتاجاً للصراع الدائر في البلاد، فتقول: «نجد سلطة ثقافية جديدة اليوم تدعى «ثقافة الثورة» بمعنى أن المسلمات الثقافية السابقة للثورة لم تعد مُلزمة، وهناك على سبيل المثال عدد من الصحف الجديدة توزع في سوريا، وتشكل مع المدونات والمواقع الإلكترونية حالة إعلامية بديلة، لا تعنى بالشأن السياسي فحسب، رغم أن السياسة هي المطلب الأول، بل تتطرق للحياة الاجتماعية والثقافية أيضاً».

أما عن حركات «الربيع العربي» قاطبة وأثرها على الحركة الثقافية عموماً، فقد قالت خواتمي: «لا بد من الاعتراف بأن تأثير حركات الربيع العربي لم يكن تأثيراً إيجابياً على الحركة الثقافية العربية، فالقلاقل والوضع الأمني وإغلاق الحدود بين الكثير من العواصم والدول العربية، وندرة عدد المؤتمرات والتجمعات الثقافية واقتصارها (في أحسن الأحوال) على البلد نفسه من دون المشاركات الخارجية، وتقلص الاهتمام بالثقافة على حساب الاهتمام بالسياسة، فالقارئ العربي صار مشغولاً بالحراك الثوري هنا وهناك ومعرفة تأثير ما يحدث على حياته اليومية. نعم؛ المشهد السياسي (أكل الجو) ومتابعة النشرات الأخبارية حتى بالنسبة لمن لم يكن مهتماً بها، بات أمراً يشكل أولوية تغني عن قراءة كتاب أو كتابة رواية أو نشر عمل أدبي وتوزيعه، حتى فيما يخص الصفحات الثقافية سيجد من يتابعها أنها تركز على الثقافة المتعلقة بالوضع اليومي، وهكذا يثبت الواقع جدارته وتفوقه على الكلمة».

وتضيف خواتمي، «لست أملك أرقاماً دقيقة، واستبيانات حقيقية، لكن التراجع في نشر الكتاب بات واضحاً، على سبيل المثال كانت جائزة البوكر العربية تنال حظاً وافراً من المتابعة والاهتمام والآراء، أما اليوم فصرنا نقرأ خبر النتيجة بسرعة وعلى عجالة دون أن نكون قد اطلعنا حقاً على الأعمال المنافسة، نحن في منطقة اضطرابات، ونعيش حالة من عدم الاستقرار الذي يؤدي بالضرورة إلى عدم استقرار فكري وثقافي».

وتختم بالقول، «أعود لأؤكد أننا نحتاج إلى المزيد من الوقت لتقييم تأثير الثورات عموماً و«الثورة السورية» خصوصاً على الحراك الثقافي فالمشهد لم ينضج بعد، وربما بعد فترة من الزمن سنجد نوعاً جديداً من الثقافة المتأثرة بما حدث، ففي النهاية وأياً كان موقعنا ما من أحد سينجو مما يحدث في بلاده وفي المنطقة، فكيف بالأديب والمثقف الحقيقي، سيكون هناك أدب متميز وحر وجيد وفاعل ومؤثر، ولو بعد حين».!

ناصر: ثقافة الشباب كسرت حاجز الخوف..!

أما الفنان التشكيلي والروائي السوري أيمن ناصر، فيرى أن أهم إيجابيات الحدث السوري هو كسر حاجز الصمت، ويقول ناصر، «قام الحراك الشعبي في سوريا بكسر جدار الخوف أمام حرية الفكر والكتابة والفن، ربما لمسنا ذلك على خجل في مدينتنا الصغيرة (الرقة) التي من المفترض أنها تحررت من أجهزة الأمن لتقع تحت وطأة فكر جماعات دينية بعضها تكفيري متطرف لم يجد له حاضنة شعبية بالقدر الذي يجعله يستمر وينشب أظفار فكره لدى الشباب المتمرد الرافض لكل ذلك».

ويضيف، «إن الحراك الشعبي كسر حاجز الخوف رغم ما عاناه من طعن تكفيري مؤقت لخاصرته، نعم، وتجاوز ثقافة مسيسة مألوفة اعتدناها خلال أربعة عقود، ثقافة منتخبة واقعة بقبضة أدباء وكتاب وصحفيين تحت ما يُسمى (النخبة المثقفة) تجاوزها الحراك إلى نطاق ثقافي جديد لم يكن مألوفاً في مجتمعنا ألا وهو: نطاق ثقافة الشباب».

ويتابع الروائي السوري، «شباب لم نكن نتوقع يوماً أن يفاجئونا بهذا القدر من الوعي والفكر الثوري الحر متجاوزين ما سوّقته العولمة من تخريب لعقولهم الفتية. مستفيدين من ساعات جلوسهم الطويلة أمام الإنترنت وصفحات التواصل الاجتماعي ومتابعتهم لما يكتبه شباب مصر وتونس واليمن وليبيا إلى جانب كتابات الشباب السوريين».

ويؤكد ناصر من خلال قراءته للمشهد السوري أن ما يحدث على الساحة من متغيرات ساهم في استنباط ثقافات جديدة تعمل على تأريخ مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية في سورية، فيقول، «إن تأثير الحراك الشعبي في سوريا على الحركة الثقافية كان له الفضل في إظهار بداية (ثقافات جديدة) لم تكن مطروحة سابقاً بالجديّة

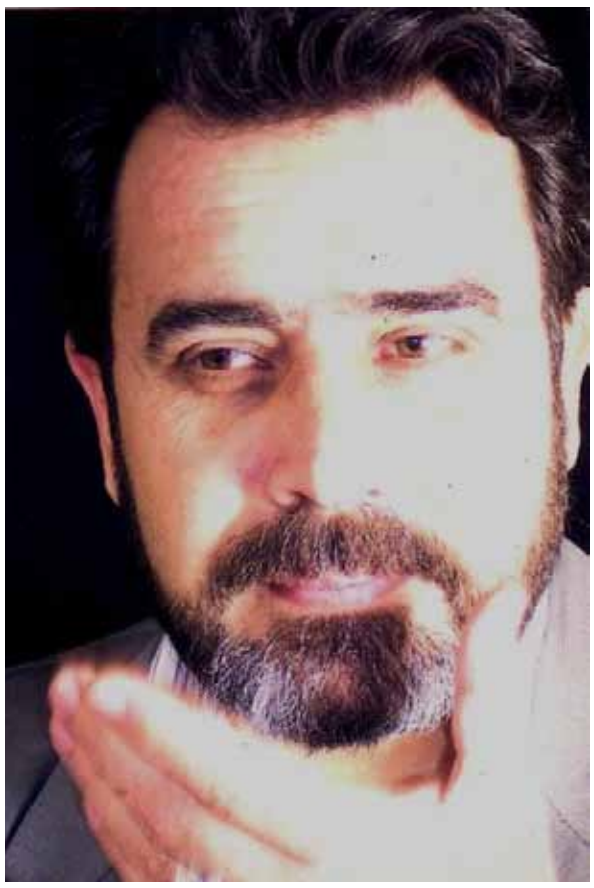

• أيمن ناصر

والجرأة التي تحياهما الآن، ومن هذه الثقافات نذكر:

1. ثقافة حرية الرأي: تمثلت بقطاعات من الشباب دون الثلاثين، (الرقة أنموذجاً ريفاً ومدينة)، شكّلوا تجمعات مدنية حرّة تحت مسميات ورموز وطنية ما كان لها أن تظهر في زمن مضى ولا تتبع أية جهة سياسية أو عسكرية.

2. ثقافة إحترام الإختلاف: رغم غياب ثقافة الاختلاف خلال العقود الفائتة إلا أن ظهورها بدأ مع ظهور الحراك الشعبي وغدا لها وجود مهم على الساحة الثقافية ودعَمَتها أصوات أدباء ومفكرين نادوا بهذه الثقافة لما لها

• خطيب بدلة

من أهمية في ترسيخ أسس الدولة الجديدة.

3. ثقافة عدم الإقصاء: إن مقولة (إن لم تكن معي فأنت ضدي) مقولة لم تجد لها حاضنة قوية بين أجيال الحراك الثوري بمختلف أعمارهم، حيث عانى الشعب السوري من الإقصاء والتهميش خلال سنوات طويلة. ونجد أن أصوات الشباب تنادي بالتسامح وفتح الأبواب للجميع

«نصوص حماسية مستعجلة تتبنى وجهات نظر متطرفة»

للمشاركة رغم التحديات الكبيرة التي تواجههم.

4. ثقافة التنوع في الفكر وتقبل الآخر: ما عاد الفكر المسيّس الواحد هو المسيطر، فتنوّع الأفكار منحت عقول الشباب القدرة على الاختيار دون إلغاء الآخر مهما كان حجم الاختلاف في الفكر المطروح، فثمة مساحة من الفضاء الحر لمناقشة الآراء وتقبل الآخر أو رفضه، ومناقشة القضايا الثقافية بمختلف أنواعها واتجاهاتها.

ويرى ناصر أن للحراك السوري ثقافة ومنهجاً خاصاً، ويؤكد: إن «الثورة» بمفهومها السياسي هي قلب المفاهيم السائدة واستبدالها بمفاهيم وأفكار جديدة، والحراك الثوري بمفهومه الثقافي قد لامس مفاهيم وضفاف حرية جديدة نتوق إليها منذ زمن وما زلنا ننتظر الوصول إلى الشاطئ المنشود بالطريقة التي نريدها ونعمل عليها

الكتابة من الحالة الإبداعية الرصينة إلى موضة في زمن الاحتجاجات

وليس بالطريقة التي يريدها لنا ذوو الأفكار المتطرفة.
رغم هذا وذاك ورغم ما حققه الحراك من تقدم ملموس على أرض الواقع إلا أن الطريق ما زالت طويلة ليأخذ الشباب دوره الحقيقي في مجتمع مدني ديمقراطي كما يجب».
ويختم بالقول: «إن ما نحتاجه حقيقة من هذا الحراك الشعبي ونضيفه إلى الثقافات الجديدة هو تعزيز ثقافة المواطنة. والثقافة المبنية على حقوق الإنسان وأخيراً الثقافة الديمقراطية».

بدلة: لا يصح إلا الصحيح

يرى الأديب السوري خطيب بدلة أن الحياة الثقافية في سورية معطلة، والثقافة الوحيدة السائدة هي ثقافة العنف والقتل والدمار، ويقول، «إن الحركة الثقافية في سورية الآن شبه متوقفة، بسبب الأحداث، والمراكز الثقافية السورية، في الأساس، لم تكن تقدم ثقافة وطنية رفيعة المستوى، إلا ضمن حدود ضيقة، وضمن ما يسهو النظام عن مراقبته».
ويعتقد الأديب أن الحركة الثقافية تحاول مواكبة الحراك الشعبي على أرض الواقع، ويضيف، «إذا كان المقصود بالسؤال هو الحركة الثقافية المواكبة «للثورة السورية»، يمكن القول: إن ثمة إرهاصات لحركة ثقافية وطنية سورية مختلفة، ومهمة.. ثقافة تتجه نحو تأصيل الديمقراطية والمواطنة والدولة المدنية المنشودة».
ويتابع بدلة حديثه، «تحتاج هذه الحركة الثقافية إلى زمن قد يطول حتى تتجلي ملامحها.. وأنا أعتقد أن مؤلفاتً وأبحاثاً ومقالات كثيرة يجري إنتاجها الآن، ولكن المرء يعجز عن متابعتها ضمن إمكانياته المحدودة.. وربما كان من أولى مهام الهيئة الثقافية الوطنية التي ستتكون بعد سقوط النظام هو التصدي لجمع هذه الإبداعات.. وتوثيقها.. وتقديمها للشعب».
ويختم بدلة حديثه، «قد أكون الآن أرسم صورة مشرقة للمستقبل، ولعلك تقول إننا يجب أن نتحسب من الثقافة الارتدادية الأصولية، هذا وارد.. ولكن، برأيي، في المحصلة، لا يصح إلا الصحيح».

برو: الأزمات تخلق الفن..!

يبدأ المخرج المسرحي نورس برو، مدير تجمع فينيقيا للمسرح التعبيري والراقص، حديثه قائلاً: «لا شك في أن الأزمة التي تعيشها البلاد أثرت على المسرح السوري، ولكني أرى أن هذا التأثير له شقّان، شق إيجابي وآخر سلبي، ولأبدأ من السلبي، والذي يتمثل بتراجع عدد الحضور إلى خشبة المسرح بسبب الأوضاع الأمنية وبالتالي قلّ الإنتاج، ولكن مع ذلك فالعجلة المسرحية مستمرة».
ويتابع برو حديثه، «أما الأمر الإيجابي فهو الإفراز الطبيعي التي تفرزه أية أحداث تجري في أي بلد من بلدان العالم، فمن المعروف بأن الأزمات تخلق أول ما تخلق، الفن عموماً، الأدب والشعر والمسرح، وهذا ما حصل في سورية ولو كان بقدر قليل، ولكني أستطيع أن أقول بأن العمل الذي قدمته مؤخراً تأليفا وإخراجاً وحمل اسم «إنسان» هو أحد إفرازات هذا الأزمة، العمل الذي أردنا من خلاله أن نقول للإنسان السوري العادي والبسيط، انظر إلى نفسك، أزح تلك الغشاوة عن عينيك وامض قدماً إلى مستقبلك ومستقبل أبنائك ومستقبل هذه البلاد التي ما فتئنا نخطىء في حقها دون معرفة منا».
ويتابع المخرج حديثه، «هذا لا يلغي طبعاً تأثر الحركة المسرحية الذي تجاوز مسألة الحضور، كمسائل الإنتاج المدروس بدقة والمترافق بغلاء مواد الديكور وغيرها، ارتفاع أجور الفنيين والفنانين بما يتناسب وظروف الحياة المعيشية وغالباً ما لا يتحقق ذلك، توجه الكثير

• سوزان إبراهيم

من الفنانين الى خارج البلاد لأسباب معيشية أو سياسية، ازدياد عدد الدخلاء على هذه الخشبة بسبب عدم وجود من يعمل عليها، تمرير رسائل معينة وغايات لها أهداف من خلال القيام بعمل ما، وأمور كثيرة متصلة ومرتبطة بالواقع السوري على العموم وبكل تفاصيله».
ويضيف برو، «أتمنى أن أرى المسرح السوري في المستقبل مسرحاً آخر، يعتمد أول الاعتماد على النص المحلي السوري من دون الاستعارة أو الاقتباس من أي نص عربي أو أجنبي آخر وهذا ممكن في ظل وجود كوادر كثيرة في سورية».
ويتابع حديثه، «يجب أن يفرز المسرح السوري مسرحاً جديداً متصلاً بالإنسان السوري بشكل أكبر وبشكل مختلف عن السابق، وأن لا يكون هذا المسرح مساحة للترفيه فقط كما كان سابقاً، يجب أن يلامس حياة الإنسان من جوانبها كافة، أن يحكي وجعها وهمومها واختلاجاتها جمعاء».
ويختم برو حديثه آملاً أن يستفيد المسرحيون السوريون مما مروا به من أحداث في البلاد على الأصعدة كافة سياسياً واجتماعياً ومعيشياً، وأن يوظفوا هذه الاستفادة على الخشبة من خلال العودة إلى النص المحلي، العودة إلى نصوص ماغوطية ونّوسية جديدة، العودة الى الأرض والأصل، والاكتفاء من مسرح روميو وجولييت ومولييرو وتشيخوف وغيرهم، وعدم العودة إليهم إلا بعد الاكتفاء والامتلاء من النص المحلي السوري الخالص والأصيل».

إبراهيم: المد المتطرف والمد الثقافي..!

تؤكد الكاتبة والقاصة والشاعرة السورية سوزان إبراهيم، «إن حالة الإبداع في مختلف صنوفه وألوانه ترتبط بأجواء واسعة من الحرية والأمان أولاً, ثم بتوفر الظروف المادية والموضوعية لدوران عجلة الحركة الثقافية والأدبية في أي دولة».
وترى إبراهيم في النشاط الثقافي السوري قبل الأزمة نشاطاً جيداً تأثر لاحقاً بالحرب الدائرة في البلاد، وتقول، «رغم كل ما كان يشوب الحركة الثقافية في سورية قبل الأزمة، فإن ثمة نشاطاً جيداً على مختلف الصعد كنا نعيشه ونتابعه: مهرجانات، ندوات، مؤتمرات، أمسيات، سينما، نشاط دار الأوبرا المسرح.. وكذلك حركة النشر والعناوين الجديدة».
وتضيف إبراهيم، «بدأ التأثير يتوضح أكثر فأكثر في المناطق الساخنة حيث أحرقت المراكز الثقافية وخرّبت، وبهذا أخرجت عن ميدان العمل والتفاعل قبل أن تخلو تلك المناطق من سكانها».
وتتابع، «تأثرت مواعيد النشاطات إذ لم يعد ممكناً حضور أمسية تبدأ في السادسة مساء، وهكذا صارت النشاطات أو ما تبقى منها يُعقد بأوقات تناسب الظروف

«المتشددون حرّموا الفن بكل أنواعه»

الأمنية السائدة، الرابعة عصراً أو صباحاً أو ظهراً، ومع مشكلة غياب الجمهور ما قبل الأزمة صار انعدام تواجده مسيطراً وربما مقبولاً على مضض».
كما تشير الكاتبة إلى عزوف عدد كبير من الأدباء السوريين عن الكتابة في الصحف والدوريات السورية الثقافية، وترى في ذلك سبباً لتراجع الحركة الثقافية السورية إلى حدٍ ما، وتقول، «توقّف عدد مهم من الكتّاب والمثقفين عن التعامل مع الصحف والدوريات السورية وكل النشاطات في موقف معلن من الدولة، وعدد آخر غادر البلاد لأسباب مختلفة».
وتضيف الكاتبة، «مع الانكماش الحاد في الجانب الاقتصادي، تأثرت المنشورات والملاحق المتخصصة، ومع عزف الجمهور سابقاً، ما قبل الأزمة، عن القراءة يمكن تخيل الوضع الحالي»!.
وتؤكد إبراهيم أنها أعلنت مقاطعتها للمراكز الثقافية السورية نتيجة الترهل الذي أصابها في السنوات الأخيرة، وتضيف، «كنت قد أعلنت مقاطعتي للمراكز الثقافية لعدم قناعتي بالدور المرجو منها وبسبب الروتين والبرودة التي أصابت معظمها، لكنني وللسخرية شاركت بأمسيات عدة خلال الأزمة انطلاقاً من فكرة وحيدة: هذا المد المتطرف يجب أن يقابله مد ثقافي! كانت مشاركتي نوعاً من المقاومة وقول لا لكل ما يجري».
وتوضح إبراهيم تأثرها بما شهدته المناطق الأثرية السورية وانهيار قطاع السياحة الثقافية نتيجة الظروف الراهنة التي تشهدها البلاد، فتقول، «غابت المهرجانات الكبيرة والهامة، وغاب السياح عن المناطق الأثرية.. وللأسف

• لينا هويان الحسن

كثير من آثارنا تعرض للتخريب والنهب والعبث، حتى العناوين والمضامين تغيّرت إذ صار من الترف التحدث عن أي شيء في ظل دم يُسفك وممتلكات تُدمر وإرث يُحرق».

وتختم بالقول، «في النهاية لا أظنني قادرة هنا على إيجاز ما لحق بحركتنا الثقافية من أضرار وانتكاسات، لكنني مؤمنة جداً بأن الدور الأكبر في الحياة القادمة لسورية القادمة سيكون للثقافة، وآمل أن نتمكن من تفعيلها كأداء وسلوك وليس مجرد ميزانيات واحتفالات وصور تذكارية وبرامج وخطط، لو أن الحركة الثقافية في سورية كانت فعلية على المستوى الشعبي والاجتماعي، لربما كانت أضرارنا على هذين الصعيدين أخف وطأة، وأقل خطورة».

الحسن: نصوص مفتعلة لتسجيل المواقف..!

ترى الأديبة والروائية لينا هويان الحسن، «أن الأزمات الكبيرة كالحروب مثلاً، هي فرصة حقيقية لامتحان قدرات الأدب، فالأدب يشبه «هاملت» إما أن يكون أو لا يكون، مثال ذلك أن أهم نتاجات أوروبة الأدبية والإبداعية كانت الحروب سبباً مباشراً لها، لكن ذلك لم يحدث بعد على المستوى الإبداعي سواء العربي أو السوري فالنصوص التي كُتبت، عموماً هي نصوص حماسية مستعجلة تتبنى وجهات نظر متطرفة ولا توازي الواقع».

وتؤكد الحسن أن الكتابة حول الثورات والحركات الشعبية الاحتجاجية أصبحت موضة أكثر منها أدباً وثقافة، فتقول، «أصبحت الكتابة حول الثورات موضة ومطيّة وفرصة للكتّاب الرديئين قبل الموهوبين فكثير من الأسماء برزت مؤخراً فقط بسبب كتابة نصوص كهذه، نصوص مفتعلة ولا تتضمن تفاعلاً حقيقياً مع الوضع، نصوص كتبت ابتغاء تسجيل مواقف... والخ، على المستوى العالمي أهم رواية كُتبت عن الديكتاتوريات هي رواية «حفلة التيس» لماريو بارغاس يوسا وهي رواية رأت النور بعد سقوط دكتاتورية «تروخييو» بحوالي ثلاثين سنة باختصار الاستعجال لا يصنع أدباً حقيقياً والنصوص السائدة حالياً نصوص مضحكة ولا تتدرج أصلا تحت خانة الأدب».

شحاذة: سقوط الأقنعة..!

قال الكاتب القاص محمد زين شحاذة، «إنه لمن نافلة القول الاعتراف بأن تأثير الحراك الثوري على الحركة الثقافية في سورية أمر يصعب تلمسه وسبر أبعاده لأنه لم يتبلور بعد ولم تتوضح أبعاده وصوره».

ويضيف الكاتب، «ربما يرد ذلك إلى حالة التخبط الذي تعيشه الساحة الثقافية من جهة، ومن جهة ثانية كون الأقلام مأخوذة بحالة انفعالية تفتقر إلى التحليل والتروي والتعقل ودراسة الوقائع بعيداً عن اللحظة الانفعالية».

ويتابع شحاذة، «لا شك أن التأثير قائم في تزايد لكنه بحاجة لعين فاحصة لتحديد ذلك لكنك بحاجة لمادة أولية لتقوم بهذه الدراسة والمعضلة أن هذه المادة لا تتوفر إلا على الشبكات ولذلك يصعب حصرها وتمحيصها لأن كتّاب النت لا يعدّون ولا يحصون وقد صار كل من يستطيع استخدام لوحة المفاتيح بشكل جيد كاتباً دون النظر إلى ما يكتب».

ويرى شحاذة، «إن غياباً شبه كامل يظلل كتّاب المرحلة السابقة، وأعزو ذلك لسقوط الأقنعة عن كثيرين لأنهم صُنعوا ولم تصنعهم ثقافتهم بل رفعتهم ولمعت أسماءهم

• محمد زين شحاذة

الموالاة والمحاباة وحلاوة الوجه أو طلاوة اللسان».

ويضيف، «قسم منهم يقف اليوم ممسكاً العصا من المنتصف منتظراً رجحان الكفة ليبري لسانه وينبري بالصداح أو الزعيق بما يُرضي ويُعجب من صنعوه أو من سيتولون أمره من بعد، وقسم ممن مضى يداري خيباته وفشله».

ويختم شحاذة وجهة نظره بالقول، «إن أبزر التحولات هي سقوط كثير من القناعات التي كان الأدباء يحاولون زوراً تمريرها وتكريسها، وقد ظهرت ثقافة جديدة هي ثقافة «الثورة» وثقافة التغيير، ثقافة تنقد بغير مواربة للسابق ولكنها بحياء وخوف تتوارى وراء التلميح والكنايات متلمسة عيوب هذه المرحلة خشية من القبضة القوية التي تأخذ مكان القبضة السابقة بفكر وعقيدة مختلفة».

• باسم القاسم

القاسم: انعاش الحراك الثقافي

يقول الشاعر السوري باسم القاسم، «إن تكثيف الإجابة في بضعة سطور أمر بالغٌ في الصعوبة، وذلك لقيمة الحدث ولظروف المنفعلين به، ولكن أستطيع أن أتخذ من المجاز سبيلاً».

ويرى القاسم، «إن الجسد الثقافي السوري قبل الحدث كان معلولاً في قلبه.. تراكمات في شرايين التواصل وربما انسدادات بين المتلقي والناص، علة في القلب أيضاً، تسبب بها الناص نفسه مما أحالنا إلى دورة أدبية إبداعية ذات مردود متدنٍ أثّر على جسد الثقافة السورية».

ويؤكد الشاعر، «قد جاءت «الثورة السورية» لتكون بمثابة القثطرة لهذه الشرايين وربما تصل إلى مرحلة استبدالها بشرايين جديدة، وتلقى القلب صدمات مُفعّلة لحركته أيضاً، وبالتالي يمكن أن أقول: إن أول الثمار التي يمكن أن نزعم بأننا قطفناها من حدث «الثورة السورية» هو إنعاش بل وتعافي الحراك الثقافي السوري».

تاني: لا زلت على قيد الحياة..!

يؤكد الفنان والخطاط السوري أكرم تاني، «لم تقدم لنا «الثورة» على صعيد الفن التشكيلي أي شيء فإما أن تكون رساماً لمادة الكاريكاتير لتنقل واقع البلد، وإما أن تقع في براثن عقول المتشددين الذين حرّموا الفن بكل أنواعه، أما أن تفكر بعمل معرض خاص فعليك أولاً أن تموت من الجوع حتى تنفذ ما يدور في خلدك، أو تبيع ضميرك لجهة ما لتمولك، وتعمل بأفكارها طبعاً، للأسف لا يوجد فن اليوم، وماتت مرحلة الإبداع، ولا يوجد شيء يجعلك تستيقظ من نومك لتنفذ فكرة ما بل أنت تستيقظ كل صباح لتقول الحمد لله ما زلت على قيد الحياة».

في النهاية لا يمكننا أن نلخص الحالة الثقافية السورية مهما حاولنا لأن المجتمع ينزف اليوم، والنتاج الفكري هلامي، والثقافة تعاني شيزوفرينيا مزمنة، إلا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار بعض النتاج القليل، ورغم ذلك نحتاج إلى ردح من الزمن حتى نُشفى من عللنا وعقد نقصنا كي ننهض مجدداً بشكل حقيقي بعيداً عن الدجل والنفاق الثقافي والإعلامي المستفحل، وتسجيل المواقف المأجورة عبر الارتهان للآخر.◗

• صحفي سوري

الرصاص يقتل الكلمات في مدن السواد..!

• محمد بسام

فور وصوله مدينة الرقة قصد مقهاه وسط المدينة شرّع الأبواب والنوافذ، وبدأ بنفض الغبار عن الطاولات وجمع الزجاج المتحطم، والاتصال بأرقام عماله.. لإعادة فتح المقهى والعمل مجدداً.
عاد العم «أبو شرف» من مدينة ماردين التركية بعد أن قضى ما يقارب الشهر عند أقاربه (الأكراد) هناك، وكان قد خرج من مدينة الرقة بعد التوترات الأمنية التي شهدتها في بداية آذار الماضي وانتهت بسيطرة مقاتلي جبهة النصرة على المدينة خلال يومين.
كأي نازح سوري يشعر «أبو شرف» بالمرارة وهو يتحدث عن أربعين يوماً قضاها عند أقاربه في تركيا كأنها سنين من الأسى والحرمان والألم على وطنه وبيته ومقهاه الذي كان قبلة لكل مثقفي المدينة وأدبائها.

سقط النصيف..!

تلتقي النخب الثقافية في مقهى وسط مدينة الرقة، اعتادوا أن يتسامروا فيه أدباء ومثقفين أطباء وصحفيين، ومن الممتع إن حضر النقاشات الساخنة بعض الشباب

من صغار الكسبة، فحماس جيل الشباب يضفي على الحوارات جمالية، ويبث فيه الروح...
تتعدد الآراء.. يحتدم النقاش ويضج المقهى، وتعلو الأصوات بين مؤيد للحراك ومعارض له، وفي النهاية يفترق الجميع بمودة وحنين، بعد الاتفاق على أن دخول الكتائب الإسلامية إلى المدينة سيؤذن بدمارها.
سقط النصيف، صباح السبت 2 آذار 2013 استفاق الأهالي على أصوات التكبير في المساجد، وإطلاق العيارات النارية في الهواء، سقطت المدينة، بيد جبهة النصرة خلال يومين فقط دون إطلاق رصاصة واحدة..
حالة من الغضب والخوف والترقب طغت على المدينة وأهلها، الشوارع والأزقة والأشجار كلها كئيبة، السواد يطغى على كل شيء، وشهدت الرقة مخاض ولادة عسيرة، وما زالت حتى الآن تعاني آثاره في ظل تعدد الجهات التي تحاول فرض وجودها، فالمولود الجديد مجهول الأب في ظل تواجد أكثر من سبعين كتيبة وحركة وتيار لكل منها فكر ورأي ووجهة نظر، يحاول كل

واحد فرض أبوته ووصايته على المدينة وأهلها بطريقة، وينتهي الأمر بسيطرة التيارات الإسلامية المتشددة بقوة السلاح..

أبناء علمان..!!

وضعت حركة أحرار الشام الإسلامية . وهي القوة الثانية في المدينة بعد جبهة النصرة . لوحة سوداء قاتمة من «الفيليكس» كُتبت عليها حديث نبوي، لتحل محل الصورة البانورامية التي يظهر فيها الرئيس بشار الأسد وسط المدينة، إلا أن مجهولاً مزق . ليلاً . اللوحة التي يصل طولها إلى 40 متراً، ويقول الناطق باسم الحركة: إنهم أبناء علمان..!
بعد ازدياد الأوضاع سوءاً نستطيع الجزم أن الكتائب المسلحة بمختلف توجهاتها ليست خياراً للشعب، إذ يشعر كل المدنيين بالغربة عنهم، وقد عمدوا إلى عسكرة المدينة، وقمعوا أي تيار مدني حاول البروز، وأطلقوا على التيارات المدنية التي تجاوز عددها 40 تياراً مدنياً اسم (بني علمان) في إشارة إلى علمانيتهم..!
يقول أحد المواطنين رافضاً الإفصاح عن اسمه خوفاً من عاقبة ذلك: كل ما يمكنني تشخيصه الآن هو حالة من الفوضى العارمة تضرب جميع القطاعات في المدينة لتشل الحركة فيها باستثناء محاولة المواطنين تأمين احتياجاتهم الأساسية في الصباح والعودة إلى بيوتهم على وجه السرعة..
يوضب «سامي» . وهو اليد اليمنى للعم «أبو شرف» في المقهى . الطاولات والكراسي، ويحضر ما بقي من «النراجيل» للرواد الذين اشتاقوا لجلسات الرصيف والمناقشات السياسية والثقافية إلا أن هذه الاحاديث أصبحت محظورة الآن أكثر منها في السابق..فأصبحت تُدار همساً أو صمتاً!

عسكرة المدينة..

في مشهد مسائي قضيناه في المقهى مجموعة من الناشطين الشباب توافدوا إليه يحملون آلة تصوير، ومايك مصنع من علبة «بيبسي كولا»، محاولين تصوير مشهد فكاهي لرفعه على موقع «يوتيوب»، والتهكم على وسائل الإعلام ليجري الحديث وسط ضحكات رنانة..
سيارات محملة بكافة صنوف الأسلحة الثقيلة أحاطت بكل من جلس في المقهى وقطعت الطريق، لينزل مسلحون من جنسيات غير سورية، تبين من لهجتهم أنهم سعوديو الجنسية، حيث أمروا الشباب الذين كانوا يقومون بهذه التمثيلية الافتراضية بالانبطاح أرضاً، وتراكضوا ناحية المقهى آمرين البعض ممن شكوا بأنهم كانوا معهم بالرجوع إلى الشارع...
جعجعة السلاح أثارت الرعب بين المدنيين المصدومين مما يجري، وقضي الأمر وقاموا برمي الفتية في السيارات وتوجهوا ناحية مقرهم الكائن في قصر المحافظة، ليتبين لنا لاحقاً بأنهم من «جبهة النصرة»..ومن الجدير ذكره في هذه الحادثة ملاحظة أن الحياة المدنية مرفوضة قطعاً بنظر الجبهات الإسلامية التي تتحكم بمقدرات كل هذه المحافظة...
تقول الشابة الناشطة (منار): لا نستطيع المراهنة على هذه المرحلة في الرقة لأنها حالة فوضى، وسنحاول ونستمر بالمحاولة رغم جميع الصعوبات التي نواجهها لإثبات أنفسنا على الأرض ونكتسب ثقة الناس هنا..

غريزة البقاء..

ما يميز الرقة طيلة الفترة الماضية هو نشاط مقاهيها التي تحولت إلى ملتقى للجميع، حيث الأحاديث التي تخرجهم من أزماتهم النفسية، التي أدخلتها الأزمة إلى بيوتهم... حيث يتوافر «نت» فضائي بكلفة صارت رغم قلة قيمتها في عز الليرة السورية باهظةً الآن (100) ل.س للساعة الواحدة، وهذا يسوقنا لذكر أن قيمة صرف الدولار في محافظة الرقة بالسوق السوداء بلغت 149 ليرة سورية...
على صوت أزيز الرصاص يبدأ الجميع بمغادرة المقهى الذي يقع في منطقة حساسة من المدينة، والعم «أبو

شرف» ما زال خلف طاولته يحاسب الزبائن الذين غادر معظمهم، وهو يتمتم ولسان حاله يقول: رحم الله أيام زمان.
أما «سامي» فيجمع ما بقي من «نراجيل» لم تتحطم ويعيدها للداخل ثم يغلق باب المقهى ويعود إلى منزله.
أجمل ما في الرقة هو التأقلم وحالة التعايش، فقد تكيف الناس مع القصف بمختلف صنوفه، وكل فترة يعود الخوف من ضربات مفاجئة إلى الواجهة خاصة بقذائف الهاون التي تهبط على حين غرة ضمن أحياء المدينة ولا يُعرف مصدرها، لتظل رحمة الله سيدة الحسم في وجود ضحايا أم لا.
إلا أن الحياة تأبى أن تفارق تلك المدينة الغافية على ضفاف نهر الفرات، وخلال ساعات أو اقل تعود لشوارع المدينة وأسواقها الحركة اليومية المعتادة، وغريزة البقاء هي سيدة الموقف في مدينة يخترق رحمها الفرات ليبث فيها الروح ويمنحها الحياة.

الحراك الثقافي الرسمي في سوريا الأزمة: مبادرات مفقودة... لوم متبادل

• نجوى صليبه

◗ لم تكن الحركة الثقافية في سوريا بمنأى عن الأزمة السياسية والاقتصادية التي تعيشها البلاد، إنما كان شأنها شأن كل المؤسسات ومجالات الحياة الأخرى التي عانت ما عانته خلال الحرب التي تشهدها البلاد، والتي أدت إلى خروج العديد من المراكز الثقافية من الخدمة، وتحويل الأمسيات الأدبية إلى أصبوحات، وتقليص مهرجانات أدبية وفنية تشكيلية كانت تدوم لأسابيع إلى ملتقيات تنتهي خلال بضع ساعات.

تراجع لم تكن الأزمة سببه الوحيد، إنما يشترك في الإثم أدباء ومثقفون ومفكرون ووزارة متمثلة بعمل مؤسساتها كافة، إلا أن تراجع هذا الدور قد أدى إلى انحسار الوعي الثقافي لدى جيل الشباب وهو المكوّن الأهم والعنصر الأكثر فعالية في هذه الأزمة، وقبلهم الأطفال الذين غلب العنف على ألعابهم وهم المبعدون أصلاً عن الأنشطة الثقافية والترفيهية، وعن المواقع الأثرية والتاريخية التي لم يوفرها الصراع وغير ذلك الكثير.

بين المطالبة والمبادرة

تؤكد الأوضاع التي آلت إليها حال سوريا ضرورة مضاعفة الجهود في المجال الثقافي، لما للثقافة من دورٍ مهم وعميق في بناء الإنسان وبالتالي الوطن، لذا كانَ لزاماً على المثقفين السوريين على اختلاف اختصاصاتهم أن يقدموا أكثر فأكثر، وأن يبتدعوا أشكالاً للتواصل مع مجتمعهم خدمة لوطنهم وإيصالاً للرسالة النبيلة التي من المفترض أنهم يحملون لواءها، لكن لماذا كان أداء هؤلاء دون المطلوب؟ وهل من المفترض أن نطلب؟ أم أن هناك واجباً إنسانياً ووطنياً وثقافياً بالدرجة الأولى؟

يقول القاص والروائي السوري أيمن الحسن: «هناك قلة في الأمسيات الأدبية، خصوصاً تلك التي تهدف لتوعية الشباب فهذا شبه نادر، مع ذلك مصممون على الاستمرار وعدم التوقف، لقد قدمنا أمسيات لم يكن الجمهور فيها على المستوى المطلوب من حيث الكم، مع ذلك كانت وسائل الإعلام حاضرة دائماً».. أما السؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل على الأديب أن ينتظر الأوامر من واضعي البرامج أم يجب أن يتمتع بروح المبادرة؟ يجيب على هذا التساؤل الكاتب والناقد المسرحي جوان جان فيقول: «دائماً كانت المطالبات من قبل المثقفين بإعطائهم مزيداً من الهوامش لإبداء آرائهم ومواقفهم في مناسبات مختلفة، استغرب الطروحات التي تصب باتجاه معاكس والتي تطالب المؤسسات الرسمية القيام بهذه المبادرات في الوقت الذي يطالب فيه المثقفون بذلك لاتخاذ مواقف تعبر عن أنفسهم كأفراد وكشرائح واسعة من الناس».

أسباب كثيرة أدت إلى نشاطات وفعاليات ثقافية أقل كما تقول إلهام سليمان المدير السابق لثقافي أبو رمانة منها التهديدات المتكررة والأوضاع الأمنية في بعض المناطق التي حالت دون وصول بعض المحاضرين والمتابعين أيضاً، تقول: «طالبنا بحراسة لكننا حاولنا الاستمرار ولو بقدر صغير، بعض المحاضرين اعتذروا اضطرارياً، أما الجمهور فكان هناك حضور من أماكن ساخنة حتى أن هناك أطفالاً أصروا على الحضور».

الفعاليات التي شهدها هذا المركز –على سبيل المثال لا الحصر– كانت وكما تقول سليمان: «بعض الفعاليات التي أقمناها كانت من أجل التخفيف عن الأطفال وأخرى للشباب، كما أقمنا معارض خاصة بالأزمة، معرض تصوير ضوئي بعنوان: (بلدنا حلوة بيكفي تخريب)، أخذنا مواطن الجمال في سورية الحبيبة وبالمقابل أماكن تعرضت للدمار، اللافت في هذا المعرض إصرار البعض من المحافظات الأخرى على الحضور، أيضاً استضفنا رجال دين وشخصيات سياسية في حوارات مفتوحة مع الأهالي والشباب، بتغيير موعد المحاضرات بما يتناسب والوضع الحالي كانت خطوة نحو تخفيف الضغط عن المحاضرين والجمهور معاً، فضلاً عن فتح أبواب المركز أمام العديد من المنظمات الشعبية التي عاد ريع نشاطاتها للمتضررين، المراكز الثقافية مفتوحة أمام

كل الأصوات مهما كان توجهها شريطة مصلحة الوطن والمواطن، فهي مؤسسات وطنية بالمجمل».. مقابل ذلك نجد بعض المبادرات الفردية من بعض المعنيين أتت ثمرها مباشرة سواءً من حيث تشجيع الأدباء أو الجمهور على الحضور والمواظبة على التواجد باستمرار كالمركز الثقافي في «ببيلا»، والتي يلخصها الأديب أيمن الحسن بالتالي:» في هذه الأزمة كان للمركز الثقافي في «ببيلا» موقفاً رائعاً حيث قام مدير الناحية بالتعاون مع مديرة المركز القاصة سوسن رجب بتأمين الحماية للمشاركين في كافة نشاطاته، من الشباب الموهوب الذي حرص المركز على عرض كتابتهم أمام أدباء يبدون آراءهم في هذه الكتابات».

وما بين المطالبة والمبادرة يقول هشام تقي المدير العام في مديرية ثقافة دمشق:» كي يكون هناك ندوات تخص الأزمة الحالية يجب أن يكون هناك منظمات متخصصة مشرفة على الموضوع، لكن هناك توجيه دائم لمدراء المراكز بالاتصال المستمر بالمفكرين في بلداتهم والعديد من المحافظات لإقامة مثل هذه النشاطات، والاتصال بأصدقاء المركز والرواد الدائمين».

انخفاض ملحوظ

لمعرفة ما إذا خرجت مراكز ثقافية من الخدمة أو تم استخدامها كمراكز إيواء للمتضررين من الحرب الدائرة في المحافظات، التقينا السيدة رجوة فوق العادة معاون مدير المراكز الثقافية، فحدثتنا عن معاهد الثقافة الشعبية والدورات التي تقيمها حيث قالت: «استمرت هذه الدورات في المعاهد التي كانت موجودة في أماكن آمنة لا تشهد أحداثاً كباقي الأماكن، وهناك معاهد اعتذرت، كما في حمص وإدلب ودير الزور، وبعض معاهد الريف في دمشق، أنخفض عدد الطلاب بشكل ملحوظ، فبعد أن كان لدينا كل عام (35) ألف منتسب بات العدد (10) آلاف فقط، يتخرج منهم (5266) بينما كان عدد الخريجين في السنوات السابقة يتجاوز الـ (18) ألفاً».. وبالحديث عن الإيرادات المالية قالت السيدة رجوة : «الإيراد المالي انخفض كثيراً، يذهب قسم منه إلى الوزارة، فضلاً عن تسجيل بعض الطلاب وسحبهم أموالهم لاحقاً لعدم قدرتهم على الالتحاق بالدورات بسبب الطرقات غير الآمنة».

السينما أنجزت خطتها

غاب مهرجان دمشق السينمائي ليترك فراغاً كبيراً في صالات ودور العرض في دمشق وكل المحافظات السورية، ويفتح المجال أمام تساؤلات جمهوره من السوريين والعرب والأجانب، يقول السيد باسم خباز مدير الشؤون الإدارية ومعاون المدير العام للشؤون الإدارية: «المهرجان مؤجل لحين عودة الأمن والأمان، لكننا استعضنا عنه بمهرجان السينما السورية، كان لنا بعض المشاركات في بعض المهرجانات الخارجية».. يضيف خباز: «كل صالاتنا ما تزال تحت الخدمة ولم يخرج أياً منها، باستثناء صالة حمص وصالة دير الزور اللتان هما قيد الترميم، افتتحنا صالة الكندي في طرطوس بعد تحديثها». لم تؤثر الأزمة على إنتاج الأفلام من حيث العدد، بل كان هذا العام وحسب «خبَّاز» من أكثر الأعوام إنتاجاً، والأفلام كلها ذات مستوىً عالٍ، يقول باسم خباز: «كمؤسسة حاولنا قدر الإمكان اتخاذ إجراءات تحمينا من التأثر بالأزمة، فوضعنا خطة طوارئ كاستبدال مواقع التصوير، لقد استطاعت المؤسسة العامة للسينما إنجاز خطتها بالكامل». وبالسؤال عما إذا كانت الأفلام المنتجة قد تناولت الأزمة الحالية أجاب خباز:» لم يأتنا نصوص تخص الأزمة كما أنه من الخطأ التحدث عنها في الأعمال السينمائية والأزمة ماتزال قائمة». وعن الأفلام المنتجة يتابع «الخبَّاز» بالقول: الأفلام السورية التي أنتجت وعرض بعضها، هي فيلم «الشراع والعاصفة»، إنتاج العام (2011) وفيلم «نوافذ الروح»، لليث حجو وهو سيعرض قريباً، أيضاً سيعرض فيلم «العاشق» للمخرج عبد اللطيف عبد الحميد. أما إنتاج (2012) فهناك فيلم «مريم» لباسل الخطيب في تجربته السينمائية الأولى، ويحكي قصة فتاة اسمها مريم، يختزل مراحل مرت بها سورية، وفيلم «عرائس السكر» لسهير سرميني، وهو درامي اجتماعي، والفيلم الاستعراضي فيلم «ليلى والذئاب»، أيضاً هناك فيلم الشباب الدارسين في خارج سورية والعائدين إلى سورية، ومشروع دعم الشباب».

ثقافة الطفل

لأنهم جيل المستقبل الذي تبنى به سورية الغد، وعليهم وقع الأذى الأكبر من الأزمة الحالية، كان لابد من بذل قصارى جهودنا للتخفيف قدر الإمكان من أحزانهم، ورفع

معنوياتهم، وتعديل وضعهم النفسي، مهمة غالباً ما تقع على كاهل مديرية ثقافة الطفل، في جزء كبير منها، فقد ذكرت المديرية في تقريرها الصحفي:» المديرية أقامت مجموعة من أنشطة الدعم النفسي انطلاقاً من إيمان الوزارة بواجبها تجاه أطفال سورية، في كافة الظروف وتماشياً مع متطلبات العمل خلال هذه الفترة والرغبة من قبل الوزارة بالقيام بالدور المطلوب منها في مجال الاستجابة الإنسانية تجاه الأطفال المتأثرين بهذه الظروف الصعبة، تم التخطيط لبرنامج عمل متضمناً المراكز الثقافية ومراكز الإيواء، التي يتواجد فيها هؤلاء الأطفال، تمَّت المباشرة بالعمل بتاريخ 10-6-2012 في تسعة مراكز ثقافية، توزعت على محافظتي دمشق وريفها، ومن ثم تمَّ الانتقال للعمل في مراكز الإيواء في مدينة دمشق، حيث يتم نقل الأطفال من مركز الإيواء في كل محافظة إلى مركزها الثقافي لحضور الأنشطة». القائمون على الأنشطة وحسب التقرير فريق يتشكل من أسرة وزارة الثقافة مديرية ثقافة الطفل من داخل الوزارة وخارجها، مُدرَّب ومتخصص بهذه النشاطات، وبفنِّ التعامل مع الطفل بشكل عام، والأطفال المعرضين للعنف بشكل خاص، فمن شأن هذه الأنشطة تفريغ حالة التوتر والقلق لدى الأطفال، والتي تدفعهم للتعبير عما يجول في دواخلهم مانحةً لهم مساحة للشعور بالأمان والاستقرار، التي افتقدوها وهي عبارة عن أنشطة تفاعلية تعتمد بشكل أساسي على مشاركة الطفل، من أنشطة فنية كالرسم والمسرح والتصوير الضوئي والأدب إلى الورشات وجلسات الألعاب المسرحية الترفيهية.

حراس الآثار

وكان للمواقع والأماكن الأثرية نصيبها من التدمير والتخريب كالمسجد الأموي في حلب، وبعض المقامات والتماثيل العائدة لمفكرين كانت لهم بصمتهم في تاريخ سوريا الثقافي والحضاري، حوادث كثيرة جعلت المهتمين يتساءلون لماذا حصل ما حصل؟، هل كان السبب تقصير من الوزارة في حماية المواقع الأثرية؟ أم أنه لم يكن بالإمكان غير ما كان؟ ففي حوار مع الدكتور مأمون عبد الكريم المدير العام للآثار والمتاحف قال: «لا يوجد تقصير من أحد، بالنسبة للحراسة كنا نشتكي في زمن ماضٍ من قلّة الحراسة، أما اليوم فوجود الحارس بحد ذاته لا قيمة له إن حدثت اشتباكات، أو كان هناك لصوص آثار، ماذا يفعل الحارس؟! لكننا اعتمدنا طريقة أخرى لحماية الآثار، وهي إشراك المجتمع المحلي والأهلي، نحن ندعو الشعب السوري بدون استثناء، لأن يقوم بدوره التاريخي في قراه وبلداته، قناعتنا كمديرية، مختلفة عما هو سائد، فجميع المواقع الأثرية تحت السيطرة، على اعتبار أن كل الموظفين والحراس موجودون على رأس عملهم، حتى في بعض المناطق الساخنة، لكن في بعض الأحيان يصعب على الموظفين الوصول إلى أماكن عملهم، من منطقة إلى أخرى أو من محافظة إلى أخرى، نبقى جهة علمية، ومن المفترض أن يكون هناك اتفاق تحت سقف الوطن لحماية الآثار في سورية». وضع طبيعي أن يكثر لصوص الآثار في بلد كسورية يعيش هذه الفوضى وهو البلد الغني بتاريخه وعراقته، البلد الذي يقتني من الآثار والوثائق أهمها، كذلك يحتضن من الآثار أقدمها، فما هي حوادث السرقة التي سُجلت؟ وكيف تم التعامل معها؟ وهل كان هناك من خطط استباقية؟ يقول الدكتور عبد الكريم: «استطعنا منذ بداية الأزمة إخفاء بعض القطع في أماكن آمنة، مثلاً متاحف حمص، هناك بعض المدافن الهامة التي تم حمايتها على أفضل وجه أيضاً، كل متاحفنا حتى اللحظة بألف خير.. أما حوادث السرقة فلم يسجل لدينا سوى حالتي قطعتين نتيجة اقتحام متحف أفاميا، إحداهما قطعة من تمثال آرامي سرق من متحف حماة، منذ أكثر من سنة.

هنا لابد من الإشارة إلى أن ثلث القطع المسروقة، كانت مزورة حتى على مستوى لوحات الفسيفساء، لقد تم اكتشاف ورشات تعمل في تزوير الآثار، وهذه أيضاً ازداد انتشارها خلال الأزمة، يضيف عبد الكريم: «طلبنا من جميع المديريات استخدام المراكز الثقافية لتنفيذ محاضرات بهذا الخصوص، كما طلبنا من رؤوساء الدوائر في المحافظات كافة التواصل مع خطباء المساجد، والمؤازرة من قبل الجهات الحكومية، نفذنا حملات إعلانية في الشوارع والطرقات للدفاع عن آثارنا وتاريخنا».

محافظات آمنة

كان ما سبق تقريراً سريعا نوعاً ما من مدينة دمشق وريفها، لكن أردنا الوقوف على حال الثقافة في المحافظات الآمنة، ومنها طرطوس والسويداء، والبداية مع طرطوس التي ورغم اعتبارها مدينة آمنة، نجد أن الحراك الثقافي فيها ليس بالمستوى المطلوب أو المتوقع في هكذا أزمة، الكاتب والناقد علم الدين عبد اللطيف وصّف الوضع بالقول: «طبيعة الندوات والمحاضرات التي تعدها الجهات الرسمية ومديرية الثقافة في المركز الثقافي، غالباً ما تكون الدعوة إليها وحضورها في سياق الواجب الوطني، خصوصاً في مرحلة الأزمة التي تمر بها سورية، وباستعراض سريع لعناوين المحاضرات والندوات التي قدمت وتقدم في المركز الثقافي، نجد أن هذه النشاطات تكاد تكون تأكيداً على ما يتم عرضه في أجهزة الإعلام التلفزيوني والصحافة المكتوبة في سورية، وقد يكون الأمر مختلفاً قليلاً إذا كان المحاضر من واجهة السلك الإعلامي أو الدبلوماسي أو الثقافي في سورية، فجمهور الثقافة بطرطوس متعطش لسماع الجديد والجريء، ولمناقشة ما يجري في سورية بمستوى من الصراحة والجرأة والشفافية لم يحظ به حتى الآن في تقديري، وقد يكون الأمر خارج مسؤولية وطاقة

مديرية الثقافة بطرطوس لأسبابٍ تتعلق بطبيعة الخطاب الإعلامي الرسمي في سورية عموماً». السويداء محافظة لم يطلها الخراب، لكن تأثر مناحي الحياة بما فيها الثقافية، لم يقل عن المحافظات الأخرى، ذاك أنّ مديرية الثقافة هناك صارت المعين الأكبر للمواطنين الذين أُجبروا على ترك منازلهم في بقية أرجاء الوطن، حسبما يقول الكاتب فايز بشير الذي يضيف: « أيضاً صعوبة المواصلات وقلتها خلال ساعات معينة من النهار، جعل أولئك المحاضرين يتراجعون عن قبول الأمسيات في كثير من الأحيان، أو يطلبون أن تكون ندواتهم نهارية، ما ينعكس سلباً على الحضور الذين ما يزالون في وظائفهم أو مقاعدهم, رغم ذلك فالنشاطات لم تتوقف، وإن تكن قد تراجعت قليلاً..أخصّ بالذكر مركز ثقافي بلدة امتان، ورئيسة المركز سحر أبو ترابي التي ما زالت تحرص على دعوة المثقفين وتستثمر تواجدهم في هذه المدينة المعطاءة».

• صحفية سورية

الشعوب هي المخولة بصناعة حياتها وتقرير مصيرها

الأديبة سوسن حسن: الحرية شرط أساسي للإبداع

• حاورها: فراس الهكار

سوسن جميل حسن، روائية وطبيبة سورية، تدأب على معالجة الواقع ومقاربته من خلال أدبها ورواياتها التي كان أولها «حرير الظلام»، وثانيها «ألف ليلة وليلة»، وصدر لها مؤخراً رواية «النبّاشون»، وهي رواية تناولها أدباء وكتّاب ونقاد كثيرون، لأنها شكّلت نقلة في أدب سوسن حسن، إذ سلطت الضوء فيها على عالم مهمش وشريحة اجتماعية تنامى دورها في ظل ما يشهده العالم من تجاذبات سياسية.

أثناء عودتها من ألمانيا، وفي محطتها الأولى بيروت التقت «تحولات» الأديبة سوسن جميل حسن وكان لنا معها هذا الحوار:

• اليوم في ظل هذه التجاذبات التي يعيشها العالم العربي برأيك من هو المثقف الحقيقي وما هو دوره؟

• يعيش العالم العربي اليوم في قلب إعصار عنيف ومربك، لا بد من أن يترك خلفه تغييراً كبيراً في مناحي الحياة كلها، كما كان لا بد للشعوب من أن تنتفض في وجه استبداد كان يعيد إنتاج نفسه على مدى عقود بأشكال مختلفة. إدراك الشعوب لذاتها ووعيها بكينونتها لم يأتِ من الفراغ، لقد ساهم المثقفون على مدى تاريخ طويل في صياغة هذا الوعي، فالمثقف لم يبدأ دوره الآن، دوره تاريخي ومستمر بلا انقطاع أو توقف. المثقف عليه في أوقات الأزمات والتحولات الكبيرة التي تطرأ على المجتمعات، والتجارب الثورية التي تصنعها الشعوب أن يبقى منتبهاً ومتيقظاً لكل ما يحصل ويطال مناحي الحياة، عليه أن يرصد الأخطاء والتجاوزات وينتبه إلى الهزات الارتدادية التي تصيب البنيان المجتمعي، عليه أن يبقى مناصراً للقيم الكبيرة والخطوط الحمراء بالنسبة لحقوق الإنسان التي تتعرض للانتهاك حتى وهو يثور من أجلها.

• هل أداه كما يجب؟

• الأمور بخواتيمها، الحراك في المنطقة العربية لا يزال في أوجه، لم تستقر الأوضاع ولم تصل الثورات إلى أهدافها، لذلك لا يمكننا الحكم على دور المثقف وغير المثقف، يمكننا القول إنه يقوم بدوره في صيانة الوعي الشعبي من التضليل، في رفع الصوت عالياً لحماية القيم الكبيرة والأهداف التي انتفضت الشعوب من أجلها، في التكريس لمفاهيم الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، في مواجهة الاستبداد وهو يتسلل إلى الإمساك بمقادير الشعوب بوصول أنظمة إلى الحكم عن طريق صناديق الاقتراع، وهذا ما شهدناه في مصر وتونس وليبيا، وما نشهده من ممارساته الميدانية في بعض المناطق السورية التي تسيطر عليها جماعات دينية متشددة. أظن أن على المثقفين أن يبتعدوا ويترفعوا على المهاترات والمعارك السياسية، وأن يبقوا ضليعين في دورهم كرافعة للثورات والتحولات المجتمعية الكبرى.

المعاناة الإنسانية

في خضم هذا الصراع الدائر أيهما يمنح الأديب مجالاً للإبداع أكثر الحرية أم الاستبداد؟

• الفن والأدب هما نشاطان بشريان يقدمان منتجاً

بشرياً، لكل مرحلة تاريخية منتجها الخاص، عندما تكون المجتمعات واقعة تحت سيطرة استبداد ما، غالباً ما يكون متنوعاً ومتعدداً، تكون هناك شواغل تطفو على سطح الوعي والاهتمام، لكن هذا لا يعني أن سقف الإبداع لا يتحرر إلا في ظل المعاناة، الإنسان بطبيعته مفطور على الأسئلة الكبرى، خاصة الوجودية منها، والأسئلة هي التي تحرض الخيال وتفتحه على احتمالات لا أفق لها ينجز فيها إبداعاته المتنوعة. الحرية شرط أساسي للإبداع، والمعاناة الإنسانية محرض أساسي أيضاً لذلك لا يمكن تأطير الإبداع بحالة من هاتين الحالتين.

• برأيك هل منع رواية من التداول يمنحها قيمة أكبر أم يضيع صيتها فحسب؟

• منع الرواية من التداول يسوّقها، إذ يزداد الطلب عليها، فالممنوع مرغوب ومطلوب، والمنع لا يعني بالضرورة أن هناك معايير علمية أو فنية أو قواعد يقوم عليها. مقص الرقيب لا يكترث بالجمال ولا يعنيه أي قيمة ثقافية أو إنسانية، إن كان رقيباً سياسياً أم دينياً أم اجتماعياً، يعنيه ما يتعارض مع أسس ركائزه وثباته التي يبني سطوته وسلطته عليها، يعنيه ما يتعارض مع منظومته الفكرية، ما يدغدغ أحلام الحرية والتمرد على الأنساق المفروضة، هذا لا يعني طبعاً أن ليس هناك أعمالاً مُنعت وكانت قيمة وجديرة.

• هل استطاعت الرواية النسوية العربية أخذ مكانة مرموقة في الأدب العالمي؟

• جرى الحديث كثيراً عن الرواية النسوية، وأُلفت الكتب وجرت الأبحاث حول هذا الموضوع، إن كان في العالم العربي أم في العالم بشكل عام، أنا لا أميل إلى هذا التصنيف وحصر المرأة ونشاطاتها في كل ميدان في نسق واحد يُكرس مفهوم التمييز الذي نسعى إلى التخلص من تبعيته، المرأة إنسان في المفهوم العام، ومواطن بشكل خاص، تعيش ضمن الظروف العامة التي يعيش فيها الرجل، ما جرى تاريخياً، ويجري إلى الآن هو تكريس هذه الصورة النمطية الذكورية للمرأة. وبما أن دخول المرأة ميادين النشاط المجتمعي بكل أشكاله هو دخول متأخر، ومنها الكتابة فإن تجربتها لم تواكب حتى الآن تجربة الرجل، لكنها تجتهد وتناضل من أجل ترسيخ موقعها في هذا الميدان، بالرغم من أنها لم تتخلص بالشكل المُرضي من رواسب الثقافة الذكورية المتمكنة من البيئة الثقافية والمعرفية الناظمة للمجتمعات، هناك تجارب عدة محسوبة للنساء تستحق التقدير والإعجاب وهي قيمة ثقافية وإبداعية هامة، وعلينا ألا ننسى وصولها وحصولها على الجوائز العالمية والمحلية حتى لو لم تكن الجوائز هي حكم القيمة الوحيد.

القاع المجتمعي

• هل يخلق النقد نقلة نوعية في تطور مسيرة الأديب والأدب وإلى أي درجة يسهم بذلك؟

• الأدب هو نشاط بشري وحاجة إنسانية، لذلك لا يمكن فصله عن الواقع والتغيرات في البنية الاجتماعية والسياسية والثقافية للشعوب والمجتمعات كافة، لا يمكن الفصل بين أزمة الأدب وأزمة النقد، فازدهار هذا الجنس أو ذاك من الأدب سوف ينجم عنه تفعيل النشاط النقدي المتخصص به، هذه العلاقة الجدلية هامة جداً لدفع مسيرة الأدب نحو الأمام، وكلما كانت الحركة النقدية أكثر حياة وتطوراً كلما ازدهر الأدب وتعددت أوجه الإبداع.

• لو لم تكتب سوسن حسن الرواية الحداثوية إلى أي جيل كانت تحب أن تنتمي من أجيال الرواية العربية، ولماذا؟

• لا أحب النمطية في أي مجال للحياة، فكيف في مجال الإبداع؟ أؤمن بالتجريب المبني على معرفة ودراية واجتهاد وخيال، الرواية بحد ذاتها بناء متخيل، أي لا بد للكاتب أن يستعمل أدواته في تشكيل عالم يبنيه في خياله ويكون مقنعاً عندما ينجزه ويقدمه للقارئ، هذا التجريب لا يعني بالضرورة تحطيم القوالب القديمة كلها، إنما صياغة جديدة فيها من الحداثة والابتكار ما يكفي لأن تجعل تجربتها قادرة على الحياة.

• تركت الطب من أجل الأدب، لماذا؟

• أنا لم أترك الطب بالكامل، فما زلت على رأس عملي في وزارة الصحة، لكنني أغلقت عيادتي واكتفيت بالعمل الوظيفي إلى حين بلوغي سن التقاعد. السبب الأساس هو إعطاء الكتابة ما أقدر عليه من حقها علي، فالكتابة عمل متطلب، خاصة الرواية، فحتى أقدم عملاً روائياً غنياً يجب أن أقرأ وأقرأ، هجران القراءة ينجم عنه ترهل للذاكرة وكسل ومحدودية للخيال، عدا عن أن إثراء الرواية بالمفاهيم والحمولات الثقافية المتنوعة وتسريد المعلومات بطريقة رشيقة ومبتكرة وتعالق الرواية بمجالات الفنون والعلوم الأخرى، أمر أراه يُمكّن الرواية من دورها الثقافي والجمالي. لذلك فإن تركي للطب ليس قطيعة مطلقة إنما إخلاصاً للكتابة التي هي مشروعي الذي أجلته زمناً.

• أين وجدت نفسك أكثر في الأدب أم في الطب؟

• في أي نشاط اجتماعي يصبّ في خدمة الإنسان أشعر بالرضا. الطب والأدب غايتهما الإنسان، وبقدر ما جعلني الطب قريبة من النفس والروح البشريتين، وبما أتاح لي من التعرف على الجسد البشري أيضاً وحالاته

المتغيرة والمفتوحة على احتمالات لا تنتهي، فإنه شكّل عندي مُعيناً أساسياً للكتابة الروائية، من خلال الطب وصلت قاع النفس البشرية، وغصت إلى القاع المجتمعي أيضاً، وعاينت الأشكال العديدة من الأنظمة الحاكمة لحياة البشر من سياسية واجتماعية ودينية واقتصادية وغيرها. أما الكتابة فهي علاقة إنسانية أخرى بيني وبين الآخرين، هي حوار وتفاعل، هي شغف يمنح روحي السكينة ويمنح الآخرين ما يمكن أن يلامس أرواحهم أيضاً.

مصادرة صوت الشعب

• إلى أي درجة يشبه أبطالك شخصيتك، بمعنى أوضح هل تكتب سوسن حسن نفسها أم تكتب الآخرين؟

• تحضرني مقولة للروائي نبيل سليمان هنا حول السارد الديمقراطي، فالكاتب بقدر ما يوفق بأن يكون ديمقراطياً مع شخصيات أعماله، ولا يقحمها بما يرغب أو يلبسها شخصيته بقدر ما يكون عمله أجمل وأكثر إبداعاً، لا بد من أن يتوزع الأديب على شخصيات أعماله، وأن يوزع تجاربه وخبراته وما استبطن وعيه أحياناً، إنما عليه أن يكون يقظاً لناحية الذاتية والسير الخاصة، لا أكتب نفسي إنما أكتب ما يتفاعل ويمتزج في نفسي من خبرات ومعارف وخيالات وطموحات ورغبة في اللعب الروائي.

• أين سوسن حسن مما يجري في سورية، أديبة، طبيبة، إنسانة؟

• أنا إنسانة، مواطنة سورية، مهنتي الطب ومشروعي الكتابة، لا يمكنني أن أنفصل عما يدور في وطني وفي المنطقة بشكل عام، يؤلمني جداً ما يحصل من قتل وعنف وسفك للدم السوري، يؤلمني الدمار الفظيع الذي يتعرض له الوطن من بُنى دولة ومجتمع، يؤلمني التخريب الممنهج والمدفوع بنوايا عديدة للمواطن وللإنسان السوري، أحاول ألا أجعل من ألمي عائقاً يلجمني عن أداء دوري، حريصة قبل أي شيء على إبقاء عينيّ الاثنتين مفتوحتين كي لا أرى بعين واحدة، أحرص على الرؤية النقدية وأن أقف في موقع المراقب الذي يرصد الخلل والمخاطر ويسعى لأن يحمي قدر ما يستطيع منجز الشعوب. في النتيجة الشعوب هي المخولة بصناعة حياتها وتقرير مصيرها، هي صاحبة الكلمة لذلك أنا دائماً إلى جانب الشعب وحريصة على إعلاء صوتي في وجه من يحاول مصادرة صوت الشعب وتنحية خياراته. ما أستطيع القيام به أظن أنني أفعله، ليس في هذه الفترة وإنما طيلة مسيرة حياتي بواسطة ما أملك من وسائل تخولني لأن يكون لي تأثير ولو بسيط في الحياة العامة للناس.

الحمار حاضر!!

• لماذا منحت نصف البطولة في «النباشون» للحمار؟

• تستطيع أن تقول إنها لعبة استهويتها، ورأيت أنني يمكن أن أحملها جزءاً من مقولة النص الروائي، عدا عن أن جمعة بطل الرواية وحماره لهما نظير في الواقع، كانا يلفتان نظري لكنني لا أعرف عنهما شيئاً إلا تلك الصورة المطبوعة في بالي عن نباش يجر حماره ويلفان على الحاويات ويعرجان عليها. هذه الصورة كانت حاضرة في خلدي وأنا أكتب الرواية، كما أن الحمار حاضر كثيراً في الأدب وهناك نصوص عديدة موزعة على حقبات زمنية متنوعة يشكل الحمار جزءا من شخوصها أو حاضر بقوة في فضاءاتها.

• حضر الحب بقوة في «ألف ليلة وليلة» لماذا تراجع في «النباشون» لحساب الموت والألم؟

• لا يكاد يخلو نص من نصوصي الروائية من الحب، فأنا أؤمن بالحب وأراه الضامن الكبير للحياة، كما أنه حالة إنسانية غنية متنوعة مرتبطة بالثقافة البيئية ومدى تطور المجتمعات وتدخل الدين والمنظومات القيمية الخاصة، لكنني لا أقحمه في السرد بلا وجهة أو هدف، الحب في «النباشون» حاضر وبعدة أشكال بما يحتاج النص من حمولة لا تعرقل تدفقه ولا تحدث خللاً في نسيجه وبنائه، أو تأسر الشخصيات الروائية وتعرقل سيرها ضمن النص. رواية «ألف ليلة في ليلة» بمحاكاتها للعمل التراثي الأشهر ألف ليلة وليلة كان بمقدورها أن تحمل حمولة عاطفية أكبر من «النباشون»، فهي أساساً قائمة على الحكاية السيرية التي تبوح بها بطلة الرواية «ديما» إلى الرجل الذي تحبه وتخاطبه على مدى النص «مولاي».

• أين «النباشون» من «حرافيش» نجيب محفوظ و«بؤساء» فيكتور هوغو؟

• هذا سؤال صعب عليّ، ربما يمكن توجيهه إلى القراء أو النقاد، إنما مجرد طرحه يربكني، فهذان العملان من الأعمال الخالدة، ما يجعل «النباشون» تشترك معهما هو انشغالها بحياة المهمشين في المجتمعات البشرية، والموجودين في كل حقبة زمنية، أولئك الناس الفقراء البسطاء الذين لا يكترث الأقوياء بهم إلاّ بما يشكلون من متممات ضرورية للحياة.

• ثلاث روايات في أربعة أعوام ألا يعد هذا إسرافاً أدبياً؟

• تستطيع أن تقول روايتان في أربعة أعوام، لأن الرواية الأولى «حرير الظلام» كنت قد كتبتها قبل تاريخ نشرها بمدة. أما بالنسبة للإسراف، فالقيمة بالنسبة للأدب ليست بالعدد وإنما بما يحمل هذا العدد، هناك كتّاب ينجزون أعمالاً بكثافة وبفواصل زمنية قليلة، وتكون إلى حد ما قيّمة، ومنهم من يقدمون القليل، ومنهم من قدم عملاً واحداً ثم اعتكف. المهم ما تقوله هذه الأعمال ومدى تأثيرها في الوجدان وبقائها في الذاكرة.

المنارات والمراثي

• ما هو التابو عند سوسن حسن؟

• في الأدب، ما يخدش الجمال هو التابو الحقيقي. طالما الأدب والفن والنشاط الثقافي بشكل عام موضوعه الإنسان وغايته الإنسان، فأعتقد أنه لا يجب أن يكون هناك تابوهات، كل مجال قابل للخوض، وكل مفهوم وكل فكرة، يجب ألا يمارس القيد على الفكر والإبداع، الإبداع أكثر ما يحتاج إلى الحرية.

• أيهما أقرب لك الكتابة على الورق أم على الحاسب مباشرة. ولماذا؟

• لا أستطيع أن أنكر الكومبيوتر وما يقدمه في كل مجالات حياتنا، كنت سابقاً أعتمد على القلم في الكتابة، أشعر بتلك الحميمية التي يمنحني إياها، لكن حتى الكومبيوتر صاغ لنفسه حالة من الحميمية والطقوس

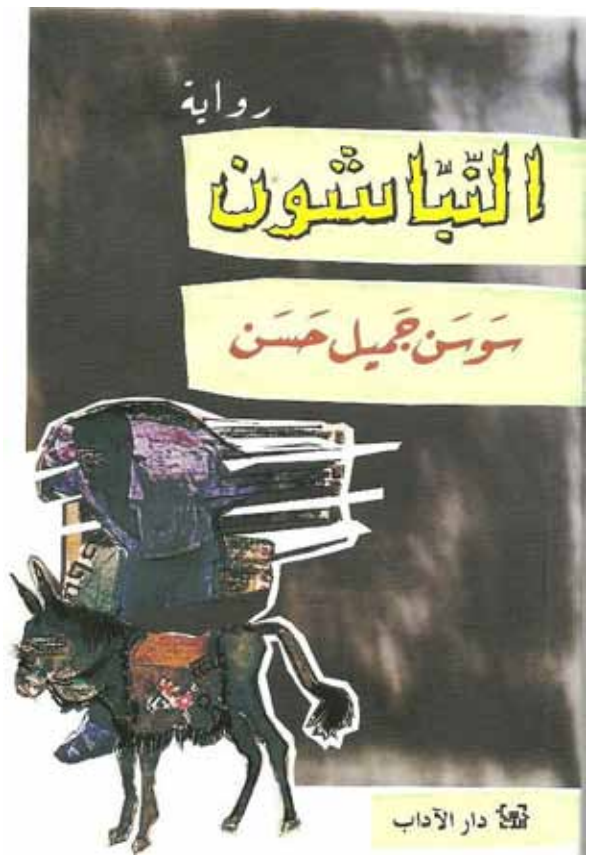

«ما يخدش الجمال هو التابو الحقيقي»

المرافقة للكتابة، غالباً أعتمد على الكومبيوتر، لكن القلم موجود دائماً في حقيبتي مع دفتر جاهز لاحتواء خواطري وملاحظاتي وبعض الأفكار التي تداهمني في غير أماكن كتابتي المعتادة.

• كنت في ألمانيا مؤخراً، بلد يحلم كثيرون بالسفر إليه لماذا عدت إلى سورية؟

• لم أذهب كي لا أعود. أخاف أن تجبرني ظروف الحياة يوماً ما على أن أحرق مراكبي. سورية تعيش في داخلي وأعيش بها، لا أستطيع الابتعاد عنها. كنت في ألمانيا زيارة للمرة الثانية، واطلعت على تجربة إنسانية تستحق التقدير والإعجاب.

• ماذا تقول سوسن حسن عن دمشق، بيروت، القاهرة، بغداد؟

• إنها المنارات والمراثي في الوقت ذاته.. لكل من هذه المدن هويتها التي تتعرض للتشويه، ولها تاريخها بحمولته المتنوعة، لها قراباتها وصلات الرحم فيما بينها، ولها ما لها من شجنها وأحزانها وأحلامها وطموحاتها. هي المنارات التي يجب ألا تخبو نارها، وألا تصادر مصائرها، هي سيدات تليق بهن الحرية.

• أمنية تتمنينها؟

• ألاّ نضلّ الطريق.. أن تصنع شعوبنا مصائرها وتصل إلى الصيغة التي تضمن لها حياة قابلة للاستمرار والازدهار، أن يصل الإنسان إلى مرتبة المواطن ويعيها، يعيشها ويدافع عنها، بدون مواطن لا يُبنى وطن.

• كلمة أخيرة لكِ:

• دائماً هناك كلمة أخيرة، لكنها بعد أن تُقال سوف تكون هناك أخرى.. أتمنى للكلام أن يكون دائماً ذا قيمة ومنتجاً للوعي الإنساني.◗

في مواجهة أمواج التغيير في سوريا... كيف تسبح الثقافة الكردية؟

• تحقيق: آلجي حسين

«عطارٌ أنا ولستُ بائع جواهر.. غرستُ نفسي ولم يعن بتربيتي أحد.. جبليٌّ أنا، من هذه السفوح.. وهذه الكلمات من صميمي الكردي..».

مَن لم يقرأ ملحمة العشق الكردية المؤلمة «مم وزين» لصاحب هذه الأشعار! الشاعر أحمدي خاني (1706-1850 م)؟ ومَن لم يسمع بـ ملا أحمد جزيري (1570-1640 م)؛ الكاتب والشاعر المتصوف؟ كم من مثقفين كرد غرقوا في بحور غيرهم من القوميات والثقافات وهم مستمتعون بالسباحة؟ هل دخلنا الآن إلى عالم الثقافة الكردية بعد موجة من حرية التعبير في المناطق الكردية السورية؟

بالطبع، الثقافة الكردية لا تتوقف على أعلام كبار أسسوا لها، كالخاني وجزيري، ولا حتى بإمارات ودول كردية سالفة نقلت ثقافتها «الشفاهية نوعاً ما» من طور إلى آخر، إلا أن الكرد بالمعنى السياسي اتحدوا في ظل إمبراطورية واحدة تعود بجذورها إلى سنة 512 قبل الميلاد، ومنها يمكن القول إن الثقافة الكردية بمعناها العام تجلت في أبهى صورها، إذا تم اعتبار عيد نوروز «اليوم الجديد» من أهم الفعاليات والطقوس الثقافية التي يحتفل بها الكرد كعيد وطني ومناسبة ثقافية أنهت حكم الملك الآشوري الظالم «الضحاك» بفأس «كاوا الحداد»، الذي دفع حياة أولاده ضحية للملك وانتصر لشعبه وأوقد النار على الجبل.

هذه القصة وغيرها مهّدت لظهور فنون كردية في أجزاء كردستان الأربعة «تركيا، العراق، إيران، سوريا»، وانتشرت الفنون، كالموسيقا والغناء والمسرح والرقص وإحياء التراث من جهة، وتطورت الرواية والقصة والسينما والفلكلور والتشكيل والأزياء والكاريكاتور من جهة أخرى، الأمر الذي يحيلنا إلى التحدث عن الثقافة الكردية وكيف تعيش في سوريا بعد أكثر من سنتين من انطلاقة «الثورة السورية» 2011، على إثر تمتع المناطق الكردية بنوع من الاستقلالية في الحياة وتقرير المصير وخلوها النسبي من عناصر «النظام السوري»، ليكون طرح عدة أسئلة مشروعة محوراً من قبيل: ما التغير الذي طرأ على الثقافة الكردية بعد «الثورة»؟ وما الذي يميز الثقافة الكردية عن غيرها من الثقافات؟ وهل تنال هذه الثقافة حقها من التعبير حالياً؟

موجة التغير في الثقافة الكردية

حليم يوسف، كاتب قصصي وروائي كردي، يعتقد أنه من المبكر الحديث عن هذه التغيرات، ولاسيما أن «الثورة» ما زالت قائمة ومحاطة بجبال من المخاطر والأبواب المفتوحة على المجهول، فما من تحول نوعي يُذكر في هذا المنحى، ويبدو لي أن التحدث عن الثقافة في بلاد بات القتل اليومي فيه أمراً عادياً ودم الأطفال يغطي جبهتها المهشمة، نوعاً من الترف، إن صح التعبير».

ومقارنةً بغيرها من المناطق السورية، تعيش المناطق الكردية حالة من الاستقرار، لكن هذا لم يجعل الكرد يتمتعون بثقافتهم، حيث يضيف حليم: «الانقطاع المستمر للكهرباء وغلاء المعيشة والسباق اليومي المحموم للركض وراء رغيف الخبز ومحاولة استرداد شيء من الكرامة المهدورة الدم منذ عقود وتناقص مقدار كمية الأوكسجين اللازمة لاستمرار الحياة، كلها تحشر الثقافة في زاوية ضيقة».

أما التشكيلي الكردي منير شيخي، فلا يعتبر «الأمر تغيراً بالمعنى الانقلابي للكلمة بقدر ما كان تصعيداً في الحالة الثقافية والفنية، تقاطع مع الانفتاح العام الذي أصبح يرسم ملامح الثقافة المعاصرة في الشرق الأوسط بعد ثورات الربيع العربي»، مضيفاً: «الحالة الثقافية الكردية كانت تنشط في الظل منذ عقود، إذ تميزت بكونها تراكمية في بعض مساراتها باعتبارها ناتجة عن إرث طويل لنضالات الحركة السياسية الكردية التي كانت في معظم مطالبها تلبس لبوساً ثقافياً مجتمعياً تنتهج سبلاً ديمقراطية وتتخذ الطابع السلمي ممارسة لها، وهي تكاملية في تعاطيها مع ثقافة الشريك، بل الشركاء، الموجودين في الوطن الواحد».

ويتحدث المخرج الكردي أكرم حيدو عن تجربته السينمائية: «عشت النصف الأول من عمري في الشمال السوري الذي أُلغي من قاموس الثقافة العربية السورية التي ألغتني كجزء من الثقافة السورية، لكون الشمال السوري له ثقافته المتنوعة الخاصة به، ثقافة ميزوبوتاميا العريقة ذات اللون الكردي». وحول مدى هذا التغير في الثقافة الكردية، يعتقد حيدو أن «الثورة السورية كسرت الاحتكار الإيديولوجي الواحد للثقافة السورية، وللمرة الأولى أشعر بأن الثقافة السورية تشملني أيضاً، وقبل سنة شاركت بفيلمي «حلبجة – الأطفال المفقودون» في مهرجان دبي السينمائي ومهرجان الخليج السينمائي، وحصل الفيلم على أرفع ثلاث جوائز للأفلام الطويلة، ولكني لم أتلمس من السوري الآخر بانتمائي إليه، وهذه خسارة للسينما السورية بالاحتفال بنجاحاتها، لأن نجاح السينما الكردية السورية هو نجاح للثقافة السورية. مضيفاً: «أنا كمخرج كردي سوري لديّ رغبة كبيرة في عرض أفلامي في الداخل السوري ومشاركة الآخر السوري بنتاجاته».

إذاً، لا فصل بين الظروف السياسية المصحوبة بالمعيشة والثقافة، فالناشط السياسي الكردي زيرك شيخو يجيب عن سؤال التغير على الثقافة الكردية بالإيجاب ويحيله إلى عدة أسباب، منها «ضعف النظام الذي كان يمنع هذه اللغة وبالتالي أي احتفال أو إنشاء أي مركز للاهتمام بهذه الثقافة أو إجراء أي بحث بغية إضعافها في الكثير من المناطق، ما ساعد في فتح مئات المدارس التي تدرّس اللغة الكردية لآلاف الطلاب وإقامة أمسيات شعرية واحتفاليات ثقافية في الكثير من المدن الكردية، وآخرها أسبوع الثقافة والفن الكرديين في مدينة الدرباسية، والتي احتوت العديد من النشاطات الثقافية من شعر ومسرح وفنون وتراث وأزياء وغيرها، مع إمكانية طبع الكتب والروايات دون ملاحقة النظام لأصحاب المطابع ودور النشر، فضلاً عن فتح مراكز تدريس الموسيقا الكردية، ما لاقت إقبالاً كثيفاً، دون أن ننسى انتشار صحف ورقية ومحطات راديو، وكذلك فعاليات ثقافية مشتركة للكرد مع مكونات أخرى تتواجد في المنطقة، كالعربية والآشورية والسوريانية، وكل هذه الفعاليات تخدم وتطور الثقافة الكردية بشكل أو بآخر».

فالأمر لا يقتصر على القصة والتشكيل وحسب، كون الموسيقا والغناء أيضاً من أهم محتويات الثقافة، والثقافة وكما هي معلومة تساوي الآداب والفنون والمعارف والعلوم، ولعل هذه المكونات الأربعة هي آخر ما توصلت إليه كل تعريفات الثقافة حسب منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة.

الفنان الكردي ريبر وحيد يرى أن «التغير الذي طرأ على الثقافة بات أكثر جرأة وأصبح قلمه حراً، ولكن الثقافة لم تتحد معاً للأسف، ما أثر على قيمتها، التي كانت من المفترض أن تكون جسداً وروحاً وقلماً واحداً، بل أصبحت متبعثرة، وبتنا نبحث عمَن يتحدث عنا ويحكي آلامنا وينقل وجعنا، لأننا بين كفيْ كماشة، لا أحد يرحم ولا أحد يخدم الشعب، فثقافة القتل والدم والخطف والإرهاب هي السائدة الآن، نعيش أوقاتاً عصيبة جداً»، ويسأل ريبر: «أين هي الثقافة من غلاء الأسعار وعدم الأمان وتخريب البلد وتشريد الملايين»؟.

سؤال يبدو جديراً ولا يختلف عما قيل قبل عن مدة تأثر الثقافة بالظروف المعيشية، لكن الشاعر الكردي نوزاد جعدان يعطي المسألة بُعداً أكثر تأملاً: «تغير الأوضاع السياسية والانفتاح الذي تولده الثورات، يفرض نوعاً من التغير في الفعل والعمل اليومي الذي يؤدي بالتالي إلى تغيرات كبيرة على مستوى الثقافة». ويقسم جعدان الشارع الثوري إلى فئتين، هما: «فئة الصفوة الأكثر ميلاً للنزعة التفاؤلية، يعيشون في خيالاتهم إلى درجة الطوباوية، وفئة الشعب الأكثر ميلاً للعدمية بنظرتهم وكتابتهم، إلى أن يجدوا شراعاً صلباً يأخذهم إلى بر الأمان».

أما بسمة شيخو، فنانة ومحاضرة كردية في كلية الفنون الجميلة بدمشق، تقول: «كان للثورة دور كبير في تعرية الثقافة في سوريا من الزيف الذي لطالما كان يكسوها على مدى عقود، ولأن الثقافة الكردية ذات جذور ضاربة في القدم، فقد جعلتها الثورة تطفو على السطح بعد أن كانت دائمة الاختباء في القاع بفعل أثقال عُلقت بها، وبدأت ألوان نوروز تزهر في سوريا لتلون شحوب الثقافة الوحيدة الاتجاه، وأخذ المثقف الكردي بالظهور للمجتمع السوري معالجاً القضايا السورية والإشكالات الثقافية دون أن ينشغل عن همه الكردي، وهذه المرة بصفته كردياً سورياً». وتضيف بسمة: «من الخطوات المهمة التي دعمت نشر الثقافة الكردية البدء بتعليم اللغة الكردية بالجامعات كلغة أجنبية وفي المدارس أيضاً، والسماح بإصدار مجلات باللغة الكردية في محاولة لكسب الكرد لطرف دون آخر».

ومن جهته، يبدي الفنان الكاريكاتوري الكردي دجوار إبراهيم أسفه الشديد عن «الثقافة السورية أصبحت خارج سوريا من أدباء وصحفيين وشعراء ومثقفين». ويعبر دجوار عن معاناتنا الثقافية، لأن «التغير الذي تقصده غير موجود فعلياً، وبعض النشاطات التي تُقام هنا وهناك من بعض الشباب الباقين لا تصنع ثقافة بلد، مع احترامي الشديد لأعمالهم وما يقومون به».

ولأن اللغة هي وعاء الثقافة، من الجدير بالذكر أن

الكثير من الكتاب الكبار الكرد السوريين لا يزالون يكتبون باللغة العربية، ولعل الأمر يعود إلى حرمان جيل كامل منها، ما حدا ببعض الكتاب الكرد إلى أن يبدعوا في اللغة العربية من أمثال الروائي سليم بركات، الذي امتدحه الشاعر الفلسطيني محمود درويش كثيراً، في الوقت الذي أظهر الشاعر الكردي جكرخوين مثلاً براعة استثنائية في اللغة الكردية في دواوينه، لكن من العبث والغبن ذكر أسماء هؤلاء المبدعين الكثر في كافة مجالات الفن والأدب.

كيف تتميز الثقافة الكردية؟

كغيرها من الثقافات، تتميز الثقافة الكردية بخصوصية عالية ورفيعة، فـ «الموسيقا والفن الكرديان عريقان، بروعة المزاجية العالمية التاريخية والتراث الذي يغذي العالم، ولكن هذه الثقافة سُرقت، ما تسبب في عدم وجود دولة، لتستفيد تركيا وغيرها من هذا التراث العظيم، إلا أن الأساس موجود، لأن الفن والموسيقا الكردية ذات مزاج خاص وترانيم تدخل وجدان الإنسان والمشاعر، كون الكرد لاقوا الكثير من العذاب والاضطهاد والظلم، وثمة حاجة ضرورية لإدارة جديدة لاسترجاعها وتوثيقها، ولكن إعلامنا الكردي أغلبه مصبوغ بالأحزاب، مما أثر على الموسيقا، فالفن لا لون ولا سياسة ولا حزب له، ونحن نحاول جاهدين العمل لأجل الفن الكردي الذي هو ملك لكل الكرد، لكننا كنا نعود إلى نقطة الصفر، وهي الصبغة الحزبية، فلا تزال هذه الأشياء موجودة حتى يومنا هذا». هكذا يعبر الفنان ريبر وحيد عن تميز الثقافة الكردية كموسيقا.

«الكرد لهم أرض وتاريخ ولغة وحضارة، فكيف إذا كانت هذه الحضارة عميقة بعمق التاريخ، وكانت اللغة من أقدم لغات العالم؟»

تسأل التشكيلية بسمة شيخو، وتجيب عن سؤالها: «ستكون الثقافة نسيجاً مغزولاً منذ آلاف السنين يحمل في مساماته عراقة وأصالة، مطرزاً بالتنوع الذي يفرضه الموقع الجغرافي لكردستان، فهي على تماسٍ مع الثقافة العربية والفارسية تؤثر وتتأثر بها، كما أن مناطق الكرد من أغنى المناطق من حيث التنوع الإثني «الديني» واللغوي «على صعيد اللهجات» والتنوع العرقي (آشوريون وسوريان وأرمن وعرب وغيرهم)، كل هذا يسهم في غنى الثقافة الكردية بنفسها وانفتاحها على الآخر لتكون مثالاً يحتذى، فالثقافة الكردية شاملة لكل ألوان الطيف تمتد من فرح ألوان نوروز إلى همّ الكردي ساكن الجبال، من حزن البزق إلى فرح الطبول، فلو لم تكن ثقافة بمنظومة معقدة من الشروط والمكونات لما استطاعت البقاء في وجه محاولات تهميشها ومحوها وصهرها في بوتقة الثقافة السائدة».

وتتسع رقعة التميز أكثر في الثقافة الكردية حسب الناشط زيرك شيخو، الذي يضع الثقافة الكردية في موقع حضور قوي، لأنها «حافظت على نفسها من الاندثار كما بعض الحضارات والثقافات الأخرى، رغم تعرضها على مر تاريخ للتشويه أو تغير في معالمها ومحاولة طمسها ومنع توثيقها نوعاً ما، إلا أنها حافظت على وجودها وتقدمها ولو كان ذاك التقدم بطيئاً، نتيجة منع ومحاربة أو إنزال العقوبة أحياناً لمَن يتحدث اللغة الكردية، علماً أن تطور الثقافة مرتبط بشكل كبير باللغة، بل إن كل ثقافة نابعة من لغة معينة».

والميزة التي لا يمكن تجاهلها بهذا الخصوص حسب القاص حليم يوسف هي أن «الثورة السورية أحدثت زلزالاً، بالمعنى الايجابي للكلمة، في البيت السوري الداخلي وعرفتهم على بعضهم بعضاً. ولا أدري فيما إذا كنا بحاجة الى كل هذا الدم ليتحقق هذا الأمر». ويبدي حليم تفاؤله من تطور الثقافة الكردية في أنها ستجد متنفساً لها، رغم تشاؤمه من الوضع السياسي.

لكن الشاعر نوزاد جعدان يبدو غير متفائل «الأمر المسلم به أن الثقافة ليست جامدة، لأنها من إنتاج الإنسان، فهي تتطور أو تنحدر، وهي في مرحلة تعرض للتغير، الثقافة تتغير الآن وسيكون هناك في المستقبل أدب ما قبل الثورة وأدب ما بعد الثورة، والثقافة الكردية تعيش الآن مرحلة عفوية تحتاج إلى رصد وتحليل لتشذيب مسيرتها، هي كمشكلة الثورة ما زالت تعيش حالة التخبط وعدم

• الفنانة بسمة شيخو

الاستقرار، هدفت إلى إسقاط النظام دون تأسيس بديل ناضج، فكثرت الأصوات وبالتالي تعددت الأصداء».

ولا يخالف رأي الفنان دجوار إبراهيم رأيْ حليم يوسف ونوزاد جعدان، قائلاً: «حتى تصبح الثقافة ثقافة، تلزمها أسس وأناس أكاديميون والكثير من ضرورات الثقافة، فالوضع سيء ولا يتحمل الآن نشر الثقافة».

«أكثر ما يفضي بشيء من الخصوصية والتميز على الثقافة الكردية هو منتجه التشكيلي الغني والوفرة النوعية في صناعة اللوحة التشكيلية المعاصرة، حتى غدا التشكيلي الكردي رائداً في هذا الجنس الفني مقارنة مع أقرانه التشكيليين من باقي ألوان الطيف في كل أصقاع الوطن السوري، ويمكن ملامسة هذا التوجه جلياً في ما أنتجه التشكيلي الكردي داخل الوطن والمنفى فيما يخص الثورة السورية، فتجده رسم عن مجزرة الحولة في حمص «زهير حسيب»، أوعن صباحات مدينة دوما الدمشقية «بشار العيسى»، أو جسد هول النزوح «حكمت داوود»، أو قدم معاناة الناس بعد كل برميل يسقط من سماء الطغاة مجسداً مجزرة بانياس «زاريا زرادشت»، أو قدم الجرح السوري بكل اتساعه «بهرم حاجو»، وحصن الأمل بكل تجلياته «عنايت عطار». بهذه الصورة يشرح التشكيلي منير شيخي نظرته إلى التميز في الثقافة الكردية، مضيفاً: «هذا التنوع والغنى في التعرض لكل الألم السوري يندر أن نشاهده في كل المنتج التشكيلي السوري رغم كثافة المبدعين وتنوع مشاربهم الثقافية. فلم نجد ولم نرَ أو نسمع عن مبدع ما «وهو آخر في ثقافته» طرح معاناة مدينة رأس العين «سري كانيه» أو تل تمر أو حتى قامشلو في أي منتج إبداعي وثقافي له، وهنا تكمن المشكلة، ليظهر هول الشرخ للعيان، مما يدعو للأسف والحزن معاً حين التعاطي مع الشريك وثقافته».

حق التعبير في الثقافة

وعلى الرغم من تميز الثقافة الكردية، هل تأخذ حقها في التعبير؟

«لا، لم تأخذ الثقافة الكردية حقها بسبب التشوه الفكري الذي كان طاغياً في مجتمعنا، لأسباب عنصرية وقومية حُفرت في الأدمغة من أن الثقافات الأخرى «غير العربية» تعمل على قطع أواصر الصلة العربية بين أقطار الوطن العربي وتعمق انقسامه، ناسين أن تمازج الثقافات في بلد معين هو سبب ارتقائه، فالكردي كان يُعامل معاملة الأجنبي في وطنه، حُرم من لغته وأبسط حقوقه، فكيف لثقافته أن تبرز؟ إلا أن هذا زاد من حبه لتراثه وتاريخه وثقافته وزادت محاولاته لمنع تفاصيله الكردية من الاندثار بين الثقافات التي تحاول اختراق المجتمع الكردي، فقد كان مشاركاً في الحركة الثقافية السورية على نحو مؤثر في مجالات الإبداع كافة شعراً ونثراً ورسماً وعزفاً... وكانت الجبال الشاهقة والشمس الساطعة لكردستان تُلمح جلية في تفاصيل أعماله، إلا أن حالة إنكار انتمائه القومي كانت طاغية». تجيب بسمة شيخو عن السؤال.

ويوافقها الرأي منير شيخي، فـ «تشطر الشخصية الثقافية الكردية بين ثلاث ثقافات (عربية وتركية وفارسية) مختلفة من حيث التوجه الحضاري ومتفقة ومنسجمة من حيث ضرورة بقاء الكردي هامشياً، وهذه الشخصية مغيبة من حقيقة المشهد السياسي الجاد في المنطقة، جعلت من حق الكردي أن يعبر عن نفسه وثقافته بحرية كما يريد أمراً بعيد المنال، وخصوصاً عندما نرى التخندق الأعمى الذي أدخل معظم مكونات الشعب السوري نفسها فيه نتيجة عقدة الخوف من سطوة الموروث وقدسية التاريخ في زمن كان لابد أن يكون فيه رسم مصير الشعوب شيئاً آخر تماماً لولا أخلاق الجاهلية وكثافة المتاجرين بها».

بينما يحيل ريبر وحيد الثقافة الكردية إلى أنها على «طوال عمرها لم تأخذ حقها في التعبير، لأنها كانت مقيدة بشروط ومحسوبيات، رغم أنها الثقافة الأولى في العالم، أي حرية التعبير ضمن غاية ثقافية كانت مقيدة بشروط أمنية، غير إننا أصبحنا على حافة الهاوية، ولا تعبير لنا سوى حقن الدم السوري لنعود أخوة، فنحن متعبون جداً، واذا كنا سنعبر عن ثقافتنا سنعبرها لتأمين الدواء والعيش لأطفالنا».

وبرأي المخرج أكرم حيدو أيضاً لم تأخذ هذه الثقافة حقها في التعبير عن نفسها ككلٍ في داخل وخارج سوريا، و»لكن بداية التغير وضعتها الثورة السورية، ويتبقى على المثقف السوري مدى انفتاحه على نفسه وعلى الآخر لإعطاء الثقافة السورية حقها في التعبير عن نفسها وإعطائها دور الريادة في تشكيل المجتمع السوري من جديد».

إذاً، شهدت الثقافة الكردية في كافة المناطق الكردية في العالم تطوراً ملحوظاً، وكان من الملاحظ أن التطور شهدته السينما الكردية التي تنال دائماً أرفع الجوائز في مهرجانات السينما العالمية، وكذلك التشكيل والموسيقا والرقص الشعبي والفنون عموماً، دون نسيان كافة أشكال الأدب ومجالات المعارف والعلوم الأخرى.◀

• صحفي سوري

ونزحت الدراما السورية.. أعمال هربت من الدماء وأخرى وقفت في وجه الرصاص

• أروى الباشا

لم توفّر الأحداث المتصاعدة في دمشق أحداً من النزوح والتشرد، حتى الفنانين السوريين نزحوا خارج البلاد، وحاولوا المشاركة في أعمال درامية من مقار إقاماتهم الجديدة.. ورغم ذلك فالدراما السورية لم تسقط.. وأكثر من 27 عملاً درامياً سورياً في الواجهة ينتظر العرض في رمضان، في الوقت الذي راهن فيه كثيرون على سقوط الدراما السورية منذ بداية الأحداث في سوريا، خصوصاً بعد اشتدادها في السنة الأخيرة مع وصول الانفجارات إلى قلب العاصمة دمشق.

الدراما السورية نزحت بنجاح.. فلم يتوانَ صنّاعها عن نقل نشاطهم الفني إلى خارج البلاد، واختاروا لتصوير أعمالهم عدداً من العواصم العربية الشقيقة مثل بيروت وعمّان ودبي، كذلك وصلت الدراما السورية إلى المغرب العربي... وإلى العراق الذي لطالما لجأ صناع الدراما فيه إلى سوريا لتصوير أعمالهم فيها.. ولكن اليوم تنقلب الآية لاسيما بعد أن أصبحت سوريا من أكثر بقاع العالم خطراً..

خارج الحدود

عشرة أعمال درامية سورية تم تصويرها خارج حدود سوريا هذا العام، حيث فضّلت غالبية صناع الدراما السورية الهروب من الخطر المحدق بالبلد في أي لحظة، وتم نقل الكوادر الفنية بالكامل إلى بلاد التصوير الجديدة، ولم يكن هناك من داعٍ لنقل مقر إقامة الفنانين السوريين إلى تلك البلاد لأن أغلبيتهم كانوا مستقرين فعلياً في الخارج منذ بداية اشتعال الأحداث، مع أول رصاصة أُطلقت في دمشق..

ومقارنة بالعام الماضي نجد فرقًا كبيراً بعدد الأعمال التي صوّرت في الخارج، فقد شهد موسم دراما رمضان الموسم الفائت 2012 تصوير عملين فقط خارج حدود سوريا، ونستطيع أن نقول إنه منذ العام الماضي بدأ صنّاع الدراما نقل نشاطهم إلى خارج سوريا، بالرّغم من أنّ الأحداث لم تكن على أشدّها، حيث شهدت دبي تصوير عملين دراميين سوريين هما «أبو جانتي 2» من إخراج عمار رضوان، و«صبايا 4» من إخراج سيف الدين نجيب، ومنذ العام الماضي اعتبرت دبي الوجهة الأولى والوحيدة للنزوح، فيما لم تكن خيارات التصوير في بيروت أو عمان أو غيرها من العواصم مطروحة على القائمة بعد.

مقاربة الواقع

وتستأثر الأعمال الاجتماعية المعاصرة بالمشهد الدرامي في سوريا.. لتلامس مشكلات ويوميات المواطن في سوريا والوطن العربي، ولعلّ أبرز ما يجمع الأعمال الاجتماعية التي ستعرض في موسم 2013 تصوير معظمها في لبنان، فقد أنهى المخرج السوري سيف الدين سبيعي تصوير مشاهد مسلسل «منبر الموتى» في بيروت، مع التنويه أن مخرجته الأساسية رشا شربتجي اعتذرت عن استكمال التصوير بسبب الشح الإنتاجي كما أكدت في بيان صحفي لها.

وكان من المقرر تصوير «منبر الموتى» في سوريا

بين محافظتي دمشق وطرطوس، ولكن رفض الأبطال المشاركين بالعمل السفر إلى سوريا بسبب خطورة الأوضاع هناك، اضطر الشركة المنتجة «كلاكيت» للتصوير في بيروت، ويعتبر هذا المسلسل من الأعمال التي تحاول عكس الأزمة السورية بكل أحداثها المؤلمة، ويغرق العمل بواقعية شديدة مضرجة بدماء الشهداء، ويصل إلى البيوت التي تم قصفها، ويقف على معاناة المواطنين في المناطق الساخنة، ولا ينسى تصوير الانفجارات الضخمة التي تنجم عن السيارات المفخخة..

خيال علمي

من جهة ثانية، تطرق الدراما السورية باب الخيال العلمي هذا العام عبر مسلسل «العبور»، حيث تتابع المخرجة السورية عبير إسبر في مدينة بيروت تصوير العمل الذي يتحدث عن العالم الآخر والخيال ليكون المسلسل السوري الأول الذي يتحدث عن هذه المواضيع، كما يناقش مشاكل ضياع الشباب وانغماسهم في عالم السهر وما يتبع ذلك من انفلات أخلاقيّ، ويلعب الفنان السوري عباس النوري دور البطولة إلى جانب الفنانة السورية سلافة معمار، وباسل خياط، وريم علي إضافة لعدد من نجوم الدراما اللبنانية.

بيروت الوجهة الأولى

تعتبر بيروت هي العاصمة الأكثر جذباً للمنتجين السوريين وقد أخذت حصة الأسد من عدد تصوير الأعمال فقد تم تصوير ستة مسلسلات متنوعة فيها.

من الأعمال المعاصرة التي تمّ تصويرها في بيروت مسلسل «سنعود بعد قليل»، حيث استطاع المخرج السوري الليث حجو أن يجمع أبرز نجوم سوريا في مسلسله الجديد حيث يضم العمل عدداً كبيراً من الفنانين السوريين الذين غادروا البلاد ولجأوا إلى بلدان عربية وأجنبية بسبب الأحداث المشتعلة في بلادهم، ومن أبرزهم باسل خياط، قصي خولي، كندة علوش، عابد فهد، سلافة معمار. ويرصد المسلسل الوضع السوري

الراهن من زاوية خاصة، تحاول الوقوف على الحياد، مع التركيز على الجانب الإنساني للأزمة عبر عائلة غادر كل أفرادها إلى لبنان بسبب الظروف التي تمر بها البلاد فيما يبقى الأب وحده، لكن مرضاً عضالاً ألمّ به يدفعه إلى ترك بيته واللحاق بأبنائه.

الكوميديا حاضرة

أبرز الأعمال الكوميدية الاجتماعية على الخارطة السورية مسلسل «حدود شقيقة» الذي تم تغيير اسمه بعد أن حمل عمل مصري الاسم نفسه وهو «نيران صديقة»، والعمل سوري – لبناني، من إنتاج شركة «فردوس دراما»، عن نص للكاتب حازم سليمان، ومن إخراج أسامة الحمد، وتم تصويره في لبنان، وهو من بطولة باسم ياخور، لورا أبو أسعد، مرح جبر، شكران مرتجى.. وفي قرية «كفر ملكي» اللبنانية تم تصويره المسلسل

السوري «قيامة البنادق»، من إخراج المخرج السوري عامر رضوان، فيما يضم نخبة من نجوم الدراما اللبنانية والسورية والفلسطينية والوجوه الشابة، وتدور أحداث المسلسل حول مجموعة من المقاومين في جبل عامل في لبنان والذين حاربوا كأبطال في فترة زمنية تاريخية هي فترة الاحتلال العثماني والاستعمارين الانجليزي والفرنسي وفترة دخول اليهود إلى القرى اللبنانية.

إلى دبي..!

وفيما اختار مخرج مسلسل «صبايا 4» مدينة دبي العام الفائت للتصوير، اختار مخرج «صبايا 5» هذا العام تصوير مشاهد العمل في العاصمة اللبنانية بيروت، حيث بدأت عمليات تصويره مؤخراً تحت إدارة المخرج الأردني محمود الدوايمة عن نص نور شيشكلي، بمشاركة الفنانتين اللبنانيتين ستيفاني سالم، ونادين نجيم، إلى جانب كل من الفنانات السوريات جيني إسبر وهبة نور وليليا الأطرش، والفنانة الخليجية مريم الحسين.. ويتضمن العمل قصص عائلات عربية من مختلف الطبقات الاجتماعية ويسلّط الضوء على مشاكلهم، وسيتكلم العمل عن نساء مطلقات، متزوجات وصبايا يدرسن ويعملن ولم يعد يجمعهم منزل واحد.

دراما العواصم..!

أما العاصمة الأردنية عمّان فقد تم فيها تصوير عمل سوري واحد بعنوان «زهر البنفسج» للمخرج السوري فيصل بني المرجة، بمشاركة نجوم من سورية ومصر على رأسهم أحمد بدير، وسوسن بدر، وربيع الأسمر، فادية خطاب، والعمل عبارة عن حلقات متصلة منفصلة يعالج مجموعة من المشاكل بأسلوب كوميدي أحياناً، وبأسلوب تراجيدي أحياناً أخرى.

كذلك تشهد الدراما الأردنيّة هذا العام استقطاباً لأهمّ النّجوم السوريين، حيث يُشارك الفنّان قيس الشيخ نجيب للمرّة الأولى ببطولة عمل أردنيّ بعنوان «زين»، من إخراج الأردنيّ محمد حشكي، وبطولة نخبة من الفنّانين العرب، منهم الفنّانة صبا مبارك، المصريّة نيللي كريم والأردنيّة تيما شوملي، على أن يُعرض العمل في موسم رمضان 2013، وفي السياق ذاته، تشارك الفنّانة السوريّة صفاء سلطان ببطولة عمل أردنيّ جديد وهو الجزء الثاني من مسلسل «توأم روحي»، من إخراج سائد الهواري، خاصّة بعد أن نقلت مقرّ إقامتها مؤخّراً من دمشق إلى عمّان خوفاً من الأحداث الدائرة في بلادها.

البيئة الشامية

وبالانتقال لأعمال البيئة الشامية التي تأخذ الحيز الأكبر من الأعمال السورية كحال كل عام، فهناك كثافة في إنتاج اعمال البيئة التي تتهافت المحطات الفضائية على شرائها، لشدة الطلب الجماهيري عليها في كل عام، وتم تصوير مجمل أعمال البيئة في حارات دمشق القديمة وبيوتها المعرشة بالياسمين باستثناء «حمام شامي» الذي يعتبر استثناء من بين الأعمال الشامية بتصويره خارج حدود سوريا، حيث يعتبر هذا العمل أول مسلسل بيئة شامية يتم تصويره في أبو ظبي، في مدينة افتراضية تم بناؤها على الطراز الشامي القديم لتتلاءم مع بيئة العمل، وهو من إخراج مؤمن الملا..

مرايا 2013 جزائرية

وإلى الجزائر.. نزحت الدراما السورية أيضاً.. فلأوّل مرّة في تاريخ الدراما السوريّة، يتمّ تصوير عمل دراميّ كامل في الجزائر، حيث بدأ منذ أيّام في العاصمة الجزائريّة تصوير مشاهد المسلسل الكوميديّ السوريّ الشهير «مرايا 2013»، تحت إدارة المخرج السوريّ عامر فهد، وبذلك يكون بطل هذه السلسلة النجم السوريّ ياسر العظمة قد ابتعد عن المدن التي نزحت الدراما السورية إليها للتصوير، ليختار الجزائر مكاناً لتصوير كامل العمل، ويشهد هذا العام خروج «مرايا» خارج حدود سوريا لأوّل مرّة منذ الجزء الأوّل له في العام 1982، حيث جرت العادة على تصوير العمل في دمشق والمحافظات السوريّة.

حفيظ بغداد

كذلك كان للعراق الذي لطالما تم الابتعاد عنه في تصوير الأعمال بعد الاجتياح الاميركي لبغداد العام 2003، نصيب من الفن السوري هذا العام، حيث بدأ الفنان السوري أيمن زيدان تصوير مشاهده في المسلسل العربي المشترك «حفيظ» في محافظة ميسان جنوبي العراق، ويشاركه البطولة كل من: المصري سامح الصريطي، والممثلتان السوريتان مرح جبر ونادين قدوري، ونخبة من النجوم العراقيين، منهم رائد محسن وأياد راضي وسهى سالم وإنعام الربيعي وسمر محمد ومهند هادي، والعمل من إخراج المخرج السوري سامي جنادي.

ويحكي مسلسل «حفيظ» الذي ألفه العراقي سعد هدابي، قصة شخصية أسطورية يقال إنها كانت تحرس كنوز النبي سليمان في هور مويلحة، في ناحية المشرح شرقي المحافظة، حيث تدّعي الأسطورة بأن كل من يحاول الاقتراب من الكنز يصاب بلعنة الاختفاء أو العمى. وسيعرض المسلسل على القناة الفضائية العراقية خلال رمضان المقبل، وبهذا نكون استعرضنا مجمل الأعمال الدرامية التي ستعمر بها موائد الموسم الرمضاني.◗

• صحيفة سورية

الدراما السورية 2013: مسلسلات معارضة وأخرى بتوقيع النظام.!!

• سامر محمد إسماعيل

تشكّل الدراما التلفزيونية في سورية فسحة بصرية للإطلالة على واقع حال العيش، حيث سجلت هذه الدراما مواقفاً عدة من الأزمة المندلعة منذ 15 آذار 2011، مقتفيةً آثار هذه الكارثة الوطنية على أكثر من صعيد، لكن اللافت في إنتاج هذا الموسم هو هذا الشرخ الذي أصاب المحترف الدرامي السوري، تاركاً البون شاسعاً بين أعمال تم تحقيقها خارج سورية، وأخرى أصر أصحابها على تسجيل شهادتهم التلفزيونية من داخل البلاد، إذ كان هناك ما يشبه ماراتون إنتاجي شهدته عجلة الإنتاج الدرامي بين أعمال تم توقيعها باسم المعارضة، وأخرى حملت بصمة السلطة وطريقة تناولها للحدث المأساوي على امتداد الأرض السورية، ففي حين اكتفى البعض بتصوير الأثر الاجتماعي والاقتصادي للأزمة على السوريين؛ فضّل البعض الآخر الذهاب بعيداً إلى شبه تبني لوجهة نظر أحد طرفي الصراع الدائر منذ أكثر من عامين بين المعارضة و النظام؛ مما يفتح الباب عريضاً على تساؤلات كثيرة تنقل الدراما السورية هذا العام من مستوياتها الترفيهية الاجتماعية للمواسم الرمضانية، إلى مستويات سياسية يحاول القائمون على هذه الأعمال الانحياز لطرف على حساب آخر، وذلك عبر وسيلة المسلسل التلفزيوني الذي يبدو اليوم وثيقة إضافية عن حقيقة اللحظة الساخنة التي تشهدها البلاد منذ قرابة عامين ونصف العام.

سجال

هكذا شاهدنا في موسم رمضان لهذه السنة ما يشبه سجالاً درامياً بين كل من مسلسل «تحت سماء الوطن» لمخرجه نجدت إسماعيل أنزور ومسلسل «منبر الموتى» لمخرجه سيف الدين سبيعي وكاتبه سامر رضوان، فالعمل الأول الذي ألّفه مجموعة من الكتاب على امتداد عشر ثلاثيات يتحدث في مجمله عن «الإرهاب» الذي تتعرض له البلاد، ومحاولة تفتيت الوطن والامتداد الرجعي إلى المنطقة و»المؤامرة الكونية»، وما تعرضت له النساء السوريات في مخيمات اللجوء من حوادث اغتصاب وإهانة كما في ثلاثية «عزيزة بابا عمرو» وثلاثية «النزوح» فيما يتعرض الجزء الثالث من مسلسل «الولادة من الخاصرة» لبطش قوات الأمن والشبيحة للمتظاهرين وفساد المؤسسة الأمنية وفقاً لرواية المعارضة، في حين تناول مسلسل «حائرات» لمخرجه سمير حسين وكاتبه أسامة كوكش الأثر الاجتماعي والنفسي للأزمة عبر شخصيات نسائية سنشاهدها هائمة على وجهها كنساء على حافة الانهيار العصبي، فتيات في العمل والبيت والجامعة محاصرات بوجوه كئيبة وأصوات التفجيرات والقصف وولولات الهاربين من جحيم المدن المدمرة من جراء قتال بين «جيش حر» وآخر «نظامي» ليتحولن لحائرات بين الطلقة والقبلة؛ حائرات بين الحب والهروب. بالمقابل سجل المخرج ليث حجو عمله الأحدث «سنعود بعد قليل» عن سيناريو لرافي وهبي عبر حساسية مغايرة من الأزمة تركز على الأثر الذي تركته الأحداث بين أفراد الأسرة الواحدة، متكئاً على بطولة الفنان دريد لحام الذي قام بأداء شخصية «نجيب» الرجل العجوز العامر بالحنين إلى وطنه بعد اضطراره للسفر إلى بيروت، ليجد نفسه بين سجالات وصراعات حلفاء النظام والمعارضة من خلال أبنائه الخمسة، حيث تدفع الأزمة الكثير من السوريين إلى هجرة قسرية تضعهم وجهاً لوجه مع واقع مليء بالتشرذم وضياع السبيل.

كوميديا الأزمة

في المقلب الآخر حقق كل من المخرجين فردوس أتاسي ومهند قطيش موقفاً درامياً مختلفاً من الأزمة عبر لوحات كوميدية ساخرة حملت عنوان «وطن حاف» عن نص لكميل نصراوي، أطل عبرها المشاهد على واقع الحياة السورية المعاصرة وفق حلقات متصلة منفصلة، ووفق سقف رقابي عالٍ لمناقشة واقع الحال من خلال كوميديا

سوداء فيها من المرارة ما فيها من السخرية والرثاء؛ لاسيما أن هذا العمل كان من إنتاج «المؤسسة العامة للإنتاج الإذاعي والتلفزيوني»، ويأتي بعد إعلان شركة «سما الفن» عن عدم إنتاجها للنسخة العاشرة من المسلسل الكوميدي الناقد «بقعة ضوء» بعد أن حقق الجزء التاسع من هذا العمل في الموسم الرمضاني الماضي سبقاً درامياً في ملامسة الحدث الجاري على الأرض السورية. بالعموم يمكننا النفاذ إلى فحوى بعض هذه المسلسلات، خاصةً بعد مشاهدة الأعمال السورية، مما يترك السؤال التالي: هل الدراما السورية اليوم أمام مواجهة من نوع مختلف؟ أم أننا بتنا نردد مقولة «المسلسل.. والمسلسل الآخر» بعد أن سُحر المشاهد العربي بمقولة «الرأي.. والرأي الآخر» شعار قناة «الجزيرة» القطرية؟ الإجابة عن هذا السؤال تتيح لنا النظر إلى مجمل المشهد الدامي الذي يخيم على البلاد منذ قرابة أربعٍ وعشرين شهراً، انقسم فيها الشعب السوري إلى أهل نظام وأهل معارضة، إلى مسلسلات «شبيحة» ومسلسلات «مندسين» لتترك هذه الأزمة العصيبة آثارها على الفنون عموماً، كاسرةً شاشة العرض إلى نصفين بعد أن كان السوريون على قلب رجلٍ واحد في دراما ملئت الدنيا وشغلت الناس على مدار نصف قرن من الزمن، فهاهي أعمال بالجملة تم تصويرها خارج الوطن في منفى الأماكن البديلة، بعد أن هرب معظم نجوم الصف الأول خارج وطنهم، فيما انكفأ الجزء الآخر ملتزماً الصمت أو الحياد إزاء ما يجري في بلده.

وجوه جديدة

في مقلبٍ آخر تخطت الدراما السورية لهذا العام توقعات خصومها وأصدقائها في آنٍ معاً؛ متجاوزةً ظروفها الذاتية والموضوعية، سواء من حيث مصادر الإنتاج والتوزيع والتسويق وشروط التصوير في الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد؛ لتقدم ما يقارب ثلاثين عملاً درامياً؛ تنوعت بين الدرامي والكوميدي والاجتماعي الساخر مكتسحةً بذلك سوق العرض العربية؛ ووجهاً لوجه في النافسة مع أعمال مصرية ولبنانية وخليجية؛ لتتصدى مجمل أعمال هذا الموسم للأزمة السياسية؛ فأكثر ما ميز دراما السوريين لهذا العام هو قدرة معظم الأعمال الجديدة على تجاوز عقدة النجم، فأغلب ممثلي الصف الأول الذين تراجعوا إلى الخلف في موسم 2013 تركوا المجال واسعاً أمام نخبة جديدة من الوجوه الشابة التي اقتحمت المشهد الدرامي، فالنجومية في الدراما السورية لا يمكن اعتبارها ملزمة على الدوام، فهناك دائماً قدرة لدى صناع العمل الدرامي على صياغة نجومهم، بل هناك جرأة لافتة على صعيد تقديم أسماء شابة، والمغامرة بما كانوا يسمون «ضيوف الشرف» أو «الوجوه الجديدة» ليكونوا في مقدمة الوجوه التي تصدرت «تترات» أعمال هذا العام، حيث يبدو أنه من محاسن الأزمة على الدراما السورية أنها ساعدت على إزاحة الكثير من ممثلي الصف الأول عن بطولة مسلسلات هذا العام، بعد أن كنا نشاهد تكرار عجيب غريب لهؤلاء في أكثر من عمل وفي موسمٍ واحد، مما ترك مجالاً للتنويع في الوجوه، والخروج من هيمنة عقود التوزيع التي كانت تلزم الشركة المنتجة على وجود النجوم أثناء بيع هذه الأعمال على رأس قائمة أبطال المسلسل. من هنا تجتاز الدراما لهذا العام عقبات عدة في مواجهة جمهور ينتظر منها الكثير، ويراهن على جرأة فنية واجتماعية تضعه مرةً أخرى في محاكمة نقدية لواقع الحال السورية، فمع بروز زوال سيطرة النجوم على شارات الأعمال التلفزيونية تتخلص الدراما من كليشيهات الوجوه التي كانت على مر عقدين من الزمن تقفز من مسلسل إلى آخر دون أي شعورٍ بالذنب، مما يمهد الطريق من جديد إلى تمرد ذاتي في جسم الدراما، وتنظيف لابد منه لكراكيب المخيلة الجماعية لجمهور المشاهدين، فثمة جيل جديد يستحق الوصول، ولديه كامل عدته الفنية لاختراق حاجز النفي الذي كان يعانيه في ظل سطوة الأسماء الكبيرة، وتحكم شللها بأدوار الصف الأول والثاني، ليستعيد الضيوف شرفهم بالعبور إلى نجوميتهم المؤجلة..

• صحفي سوري

عندما تسطو الدراما التلفزيونية على الرواية الأدبية

• عمر الشيخ

◗ التاريخ الاستثنائي لا يقدّم شرطاً فنياً مضموناً لنجاح الحكاية التي قد نقرأها في رواية أو مجموعة قصص، إن الكاتب يعمل في محيط تاريخي مشابه للواقع إلى حد ما، لا يتورّط في التوثيق لأن مهمة الفن هي تقديم المتعة وإعادة إنتاج الحكاية بأسلوب فني مختلف، ربما، تظهر التأملات والرؤى، التي قليلاً ما تنجح في رسم ملامح المراحل المستقبلية. إذا أردت أن تقرأ تاريخ أمة، فعليك أن تشاهد بعيون أدبائها الذين حملوا مواجعها ولم تتلوث أيديهم بعنجهية السلطة أو بمناصب قيادة المجتمع، الرواية والحكاية، هي صوت الناس في مراحل ما، عَبَر التاريخ عليها، والوثائق التي تترك للمتاحف يمكن للجميع مشاهدتها حسب المقدرة التعقيمية التي تفرضها السلطة على هذا الإرث! أمّا إذا كنت تبحث عن مصادر أكثر صدقاً وإنسانية، فسوف تكون الرواية، خير شاهد على ذلك، تتنبأ.. تفترض.. تصوّر بالكلمات.. وقد يتحقق ما تقول.. وقد يزول كل كلامها..! تأخذنا الرواية إلى عالمها، وتخييلها، ولكن إذا أردنا أن ننقل الرواية إلى الشاشة، فكيف سنتعامل معها من الناحية الفنية البصرية؟

مقاربة

يستطيع العمل الروائي أن يدخل إلى مخيلة القارئ من خلال ثقافته الذاتية، وتتسع حلقاته وتتداخل أحداثه إلى العمق حسب مهارة الروائي وقدرته على الجذب، ولكن حين تتدخل عوامل إضافية لتجسيد الحكاية مرئياً ما الذي يصيب الرواية الأدبية؟

«كثيراً ما يتعرّض النص الأدبي وهو في طريقه إلى العمل البصري لاعتداءات تبرر أحياناً بالإخراجية، فالعملية الميكانيكية من شأنها إلغاء الخصوصيات والنيل منها بشتى الذرائع.. هي عملية تشبه ترجمة الشعر مثلاً، عندما فشل بعض المترجمين في نقل أجواء النص إلى اللغات الأخرى.. في نقل الرواية إلى المشهد البصري..» يقول زيد قطريب (كاتب صحافي) والذي يعتبر عملية نقل العمل الأدبي «محفوفة بالمخاطر»، أنه من الممكن «أن نستذكر العديد من الكتاب الذين غضبوا عند تحويل كتبهم إلى أفلام أو مسلسلات جراء الاجتراء على النص وتغيير هويته.. هي عملية إبداعية هائلة لا تقل عن مستوى كتابة النص الأصلي.. ربما نسميها إبداعاً على الإبداع، لكن في الحالة البصرية يشارك في نجاحها أطراف عديدون أهمهم كاتب السيناريو والمخرج والممثلون، وحتى فنيو الاضاءة، أما في حالة الكتابة فالعملية فردية بحتة، لذلك لا تكلل هذه العملية دائماً بالنجاح..». ربما حدث ذلك مع رواية «ذاكرة الجسد» للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي والتي تصدى لإخراجها السوري نجدت أنزور، وقامت الكاتبة والسيناريست ريم حنّا بإعدادها تلفزيونياً لتصبح عملاً درامياً أنتج منذ سنوات قليلة. فقدت «ذاكرة الجسد» مقدرتها على الجذب حين تغلبت الفكرة على الصورة وأصبح من السهل جداً التقاط المفارقات التي كشفت بعد منتصف العمل بإضافة خطوط درامية له حتى يصل إلى الثلاثين حلقة تلفزيونية، الأمر الذي جعل من «ذاكرة الجسد» محاولة ضعيفة في الدراما التلفزيونية عندما (عوّل) نصها على شهرة ونجومية، كانت صاحبة «فوضى الحواس»، خير من نجح في ترويجها وصناعتها لمصلحة الإنتاج الأدبي لا التلفزيوني الدرامي.

رهان

قد تبدو الشخصيات واضحة في الرواية، ويمكن تقطيع مشاهد العمل الدرامي على أساسها، هي بحاجة لمهارة سيناريست وحسب، ولكن ألا يوجد شرط آخر أكثر أهمية من ذلك؟

من حيث المبدأ فإن تحويل رواية إلى عمل تلفزيوني قد تكون أمراً سهلاً، لكن تحويلها إلى عمل تلفزيوني ناجح

هو الرهان الصعب، خاصة أن الحامل الفني في الرواية بشكل عام ليس بالضرورة أن يكون درامياً، وبالتالي فإن خلق الفعالية الدرامية ستكون المهمة الأصعب أمام السيناريست ولاحقاً المخرج.. يقول صهيب عنجريني (صحافي وناقد) «إن الاشتغال على الرواية التاريخية أمر محفوفاً بالمغامرة، فغالباً ما يكون السرد هو الحامل الأساس للرواية التاريخية، ولا أظن أنني أغالي إذا قلت إن الدراما السورية لم تقدّم تجربة مكتملة على هذا الصعيد.

تتباين الآراء إلى حد ما في التقاط حساسية التركيبة، فالبعض يراها معقدة إلى درجة تغلب طرف على آخر (الرواية – التلفزيون) رواية مكتوبة وقائمة، وتلفزيون وفريق تصوير، يجب أن يكون الدمج جدياً ودقيقاً، ترى هل نجحت تجربة مسلسل «التغريبة الفلسطينية» الذي كتب نصه الكاتب الأردني وليد سيف، وأخرجه السوري حاتم علي؟

يجيب عن هذا التساؤل سامر محمد إسماعيل (كاتب صحافي) حيث يقول: «التغريبة رواية تلفزيونية بكل معنى الكلمة، فالأمكنة واللهجة التي أحالها مخرج العمل الفنان حاتم علي إلى مخيال خاص عن فلسطين متكئاً على نص وليد سيف، كان بحق تنويعة جديدة على اللغة البصرية التي تبتعد عن شرح المفردات والمصادرة على خيال المشاهد، بالعكس الكاميرا هنا لها شاعريتها.. لها خصوصيتها في التقاط الوجوه في المخيمات الفلسطينية بأرض الشتات..».

ويضيف إسماعيل: «التغريبة لا يمكن أن تكون رواية لأنها استفادت أيضاً من دمج قصص عدة لجبرا إبراهيم جبرا وغسان كنفاني محققاً توليفة عالية في سرديتها عن المأساة الفلسطينية.. لذلك تبقى قدرة السيناريست سيف عبقرية في إنجاز هذا التطواف الفلسطيني هذا الجرح الجماعي لمعاناة شعب اقتلع ما أرضه، التغريبة الفلسطينية لن تكون كذلك جائزة ترضية عن عشرات الأعمال الرديئة التي تناولت القضية الفلسطينية.. خصوصاً السينمائية منها، بل التغريبة على أهميتها تمرين أولي لإنتاج فيلم سينمائي عن أعدل قضية على وجه الأرض في عصرنا هذا.. التغريبة التي امتدت على ثلاثين حلقة تظل مادة تلفزيونية لها حدودها الإبداعية ونوعية جمهورها.. لكن التحدي سيكون في تحقيق فيلم من هذا العيار الثقيل.. فيلم سينمائي يشاهده العالم بأسره عن شعب ذبحه العالم بكل برودة دم..».

جمهور

النقد لا يُعفي العمل الدرامي من تناوله، كتجربة برسم المشاهد، والجمهور هنا، لا يلعب دور الناقد، فهو يبحث عما يمتعه، ويضيف له، إذا عدنا لبعض المهتمين من الجمهور فسنجد أن أغلبهم حفظ ملامح بطل رواية «ذاكرة الجسد».

في الرواية ذاتها حدود مفتوحة على الجماليات الأدبية للبطل، تجاوزت ما جسّده الممثل السوري جمال سليمان في النسخة الدرامية منها، حيث قدم دور رسام اسمه (خالد بن توبقال)، وهو أحد أبطال الثورة الجزائرية والعمود الفقري للرواية، فقد ذراعه أثناء الكفاح المسلح، ووقع في حب ابنة صديق له ومناضل استشهد في حرب التحرير الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي. على عكس ما لعبه من دور لا ينسى في مسلسل «التغريبة الفلسطينية» حيث

كان يجسد شخصية أحمد (أبو صالح) الفلاح الفلسطيني الذي نشاهد من خلال مسيرة حياته كيف جاءت النكبة الفلسطينية من الاحتلال الإنكليزي لفلسطين حتى أيام وعد بلفور وصولاً إلى الاحتلال الإسرائيلي.. شخصية تكشف بصراعاتها مع المحيط، مدى الرصيد الإنساني الذي تختزنه ذاكرة المناضل الفلسطيني، الذي لم يتخلّ عن أرضه رغم ما حلّ به من تهجير وشتات.. هكذا سوف يتذكر الجمهور مسلسل «التغريبة الفلسطينية» بشيء من «الدهشة والتحمّس لإنتاج أعمال بمثل هذه الضخامة والأهمية» فهو متعلق بالذاكرة لدرجة مصداقيته وطرحه «الذكي».◖

• صحفي سوري

«الشللية» سلاح ذو حدين ... الفنانة ليزا ميخائيل: الغرور مقبرة النجاح

• حاورها: أحمد حمزة الدرع

◗ يعرفها الجميع بطيبتها، وروحها المرحة، تحب عملها كثيراً، لا تحمل في قلبها حقداً على أحد، فبرأيها القلب الذي يحمل الحب لا يحمل الحقد..
ترى أن الفن حياة وتحاول أن تعيش حياتها سعيدة، تسعد من حولها وتبدأ بالابتسامة قبل أن يبادلها إياها الآخرون، تؤمن بأن التعب والجهد يُكلل بالتفوق، وأن العمل الجماعي ضمن الفريق هو مفتاح النجاح..
بدأت حياتها الفنية من نقطة الصفر، ورسمت طريقها وبدأت بالخطوة الأولى وتلتها خطوات، أحبّت جمهورها فأحبّها، أخلصت لفنها فبادلها الإخلاص ومنحها الإبداع والتميز..
قدّمت أعمالاً مسرحية عدة، وكذلك أعمالا تلفزيونية ودرامية عدة مثل (وادي السايح، المفتاح، أوراق بنفسجية، بنات العيلة، الولادة من الخاصرة، أيام الدراسة)، وغيرها الكثير.. هي الفنانة السورية المتألقة ليزا ميخائيل التي كان لمجلة «تحولات» معها اللقاء التالي:

• كيف كانت بداياتك الفنية؟
• بدايتي كانت من مسرح الشبيبة بحمص، وبعد ذلك ساهمت بتأسيس فرقة جدل المسرحية مع مجموعة من الشباب والتي قدمت أعمال مهمة عدة مثل هاملت، تهويمات مرتجلة، حياة إنسان، ينبوع الحياة، البئر المهجورة، سندريلا وغيرها حيث قدمنا ما يقارب ٢٣ عملاً مسرحياً.

الدراما احتوت الأزمة

• ما هي أهم معايير نجاح الفنان من وجهة نظرك؟
• معايير نجاح أي فنان تبدأ من امتلاكه الموهبة والحضور الجميل على ان تكون مصقولة بالخبرة والجدية في ممارسة العمل، والأهم أن يكون هناك أشخاص مؤمنون بهذه الموهبة لوضعها في المسار الصحيح، بالإضافة إلى البيئة السليمة الحاضنة للموهبة.

• واجهت الدراما السورية تحديات كبيرة بحكم الأزمة السورية، برأيك هل نجحت بتجاوزها، وما هو مستقبلها؟
• استطاعت الدراما السورية احتواء الأزمة والالتفاف على مشاكلها بطريقتين الأولى هي تصوير بعض الأعمال خارج سوريا، وهي الأعمال التي كانت مقررة سابقاً لأنها أجزاء لاحقة ولتواجد أغلب الفنانين خارج سوريا، والثاني اعتماد المسلسلات القائمة على اللوحات الدرامية أو ثلاثيات أو خماسيات، فبرأيي الدراما السورية تجاوزت الأزمة وأتاحت الفرصة لظهور نجوم جديدة على الساحة الفنية، والدراما السورية قائمة على قاعدة ثابتة ولا خوف عليها مبدعة لها القدرة للتكيف مع كل الظروف.

• ما هو الدور الذي أثر فيك أكثر من غيره وأحببته؟
• يؤثر بي دور المرأة المعذبة، سواء أكانت أماً أو عانساً أو عجوزاً، أنا قدمت دور المرأة المعذبة بمراحلها العمرية كافة، ودائماً كان يكون هناك جوانب مهملة ومغفلة بالمرأة سهواً أو عمداً من قبل المجتمع، خاصة أن مجتمعنا ذكوري بامتياز .

البطولة المطلقة للإعلام

• يؤخذ على الوسط الفني أنه مليء «بالشللية»، ما رأيك بهذا الموضوع؟
• الشللية سلاح ذو حدين، جميلها أنها تخلق ألفة ومحبة بين أفراد العمل مع معرفة تامة بقدرة عطاء المجموعة مما يساعد على ظهور العمل بشكل جيد، وقبيحها أنها تؤدي إلى تكرار الوجوه وتكرار الشخصيات مما قد يسيء للأعمال، بالإضافة أنها تحرم الوجوه الجديدة من عرض مواهبها واكتشاف قدراتها.

• عدسة: وسام بشور

• أنت تقومين بكتابة المسلسلات الإذاعية إلى جانب عملك الأساسي كممثلة، كيف تلائمين بينهما؟
• العمل الإذاعي جميل جداً كممثلة أو ككاتبة، الكتابة تخلق تحدياً بين الممثل الكاتب وجميع شخصيات النص، لأن عليه التعامل معها جميعاً وليس شخصية وحدة، وكلا الأمرين كان مساعداً للآخر في الغوص في عوالم الشخصيات، أنا محظوظة لامتلاكهما معاً.

• بمن تأثرت من الفنانين السوريين ولماذا؟
• الممثل الأقرب إلى قلبي من الفنانين هو النجم السوري نضال سيجري المسرحي الأول والذي يحمل قلباً كبيراً، أما من الفنانات فأفضّل الفنانة وفاء موصلي.

• برأيك إلى أي حد ممكن أن يساهم الإعلام بنجاح الفنان؟
• نحن في عصر البطولة المطلقة فيه للإعلام، مهما كنت موهبة الفنان عظيمة فهي لا شيء إذا لم يسلط الإعلام الضوء عليه، الموهبة كالماسة إن لم تسلط عليها ضوء الإعلام لن تشع وتبرق.

الحظ يعبّد الطريق

• أين هو الحب في حياة ليزا ميخائيل؟
• لا نستطيع أن نعيش بلا حب، عندما نتوقف عن الحب ويتوقف قلبنا عن الخفقان للحبيب فإننا نكون قد ودعنا الحياة.

• كيف توفق ليزا ميخائيل بين حياتها الشخصية وحياتها الفنية؟
• صراحة أحاول، ولكن كفة عملي دائماً الغالبة، ولذلك أحاول قدر الإمكان الاستمتاع بكل لحظات الشخصية المتاحة واستغلالها بأفضل الطرق.

• هل تؤمنين بالحظ، وإلى أي درجة ممكن أن يؤثر على حياة الفنان؟
• «حظ عطيني وبالبحر رميني» أنا مع هذه المقولة، فلو جهدك بالعمل أعطاك ٥٠٪ من نجاحك فمع وجود الحظ ستصل ١٠٠٪ بكل سهولة، الحظ يعبد الطريق أمام الجهد المبذول، وقد يهديك شريط الفوز وأنت في منتصف الطريق.

• ما هي الألوان التي تفضلينها؟
• أحب الألوان الزاهية التي تعبر عن حيوية الحياة وصخبها وليس لدي مشكلة في جمع الألوان المتنافرة ففي تنافرها قد تروي حكاية.

• ما هي أمنياتك الثلاث التي تتمنين أن تتحقق؟
• أتمنى السلام لسوريتي، والسلام لعائلتي الصغيرة، وبتمنى السلام الداخلي لنفسي لتعطيني القدرة على متابعة مشواري.

• ما هي هوايتك المفضلة؟
• هوايتي هي غريبة قليلاً، أنا أحب تلوين دفاتر الأطفال لأنها تعطيني فرحاً وسكينة وأملاً بحياة جميلة، كلما كنت بحالة عصبية أو توتر فإني ألجأ لدفتر التلوين الطفولي وألواني الشمعية.

• معك وردتان حمراء وبيضاء، إلى من تهدين كلاً منهما؟
• أهدي الوردة البيضاء لبلدي ليكفكف دموعه ويعيش بسلام، والوردة الحمراء أهديها لأصدقائي الذين وقفوا دائماً بجانبي وساندوني.

• ما هي الأعمال التي قدمتها مؤخراً؟
• انتهيت مؤخراً من تصوير عملين الأول هو مسلسل «التالي»، والثاني مسلسل لوحات شامية اسمه «حكايات حارتنا». كما أحضر الآن لعمل جديد اسمه «ناطرين».

• كلمة أخيرة ..
• الغرور هو دائماً مقبرة النجاح، والتواضع دائماً يعطيك الدفع نحو مزيد من النجاح والعطاء، وكل عمل يجب أن تكون مخلصاً في أدائه، يكفينا أن نحب عملنا ونخلص له ونحب من نعمل معه، ونطرد الكراهية من قلوبنا وهنا سوف نعيش حياتنا بألوان جميلة.◖

• صحفي سوري

نضال سيجري حضور أقوى من الغياب

• **أيهم مرعي**

نضال سيجري..»أسعد» اسمٌ سيبقى خالداً في ذاكرة السوريين التي أُتعبت بما فيه الكفاية وتشتت وانقسمت لكنَّها أجمعت أن موت نضال يُبكي، يُبكي السوريين كلّهم بعد أن أضحكتهم أعماله الفنية لسنوات وطَبَعَ بمخيلتهم صوراً عديدة لفنانٍ استثنائي استطاع رغم عمرِهِ الفنّي القصير قياساً لَلكثير من قامات الدراما السورية أن يحجز لهُ مكاناً في قلوب السوريين لأنّه ربّما كان ببساطته وإنسانيته وفنِّه أقرب لهم ولقلوبهم وتمكَّن بإبداعه أن يكون رقماً صعباً في معادلة الفن السوري، أسعد الذي اعتاد أن يقيد «جودة» ديونه على دفتره الصغير، أصبح موته دفتراً كبيراً تشكلت صفحاته من صفحات السوريين على مواقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» الذين ربما كان موته من قلائل هذا الزمان التي بات السوريين يجمعون عليها عندما بكوه ورثوه معاً واعتبروا رحيله خسارة لهم جميعاً، ربما لأنّه أيضا من القلائل من عبّر عن أوجاعهم وآلامهم وأبكاهم وأفرحهم وأوصاهم في كثير من وصايا ما قبل الرَّحيل أن الحلَّ في سورية هو أن نُحب بعضنا البعض، فقال: «الحب هو الحل» لكن يبدو أنَّ صوت حنجرته الاصطناعية التي عاش بها آخر أيامه لم يُسمعْ أحداً لأنَّ في سورية لم يعد هناك شيء يُسمْع إلا صوت الرصاص ولا شيء يفرض نفسه إلاّ الموت.

نضال الذي قال: «خانتني حنجرتي فاقتلعتها» أرادَ أنْ

يوصل رسالة إلى كل السوريين أنه إذا ما خانتكم عقولكم أو قلوبكم أو ضمائركم فاقتلعوهم وعودوا إلى رشدكم وسوريتكم التي تحبون، سورية التي كانت دائماً نموذجاً يحتذى به بالمحبة والتعايش والأمن والاستقرار وكانت محجّاً للسياح من أقطاب العالم وهي الأرض التي احتوت كنيسة يوحنا المعمدان ومقامات الحسين والسيدة زينب وقبر خالد بن الوليد وآثار هارون الرشيد والأمويين ومن قبلهم عشرات الحضارات المتعاقبة لتي ربما الحديث عن هذا التاريخ لم يعد يجدِ لدى البعض ويعتبرونه في إطار التنظير الذي لا جدوى منه.

نضال رحل في وقت بات الوجع في بيتِ كُلِّ سوري فزاد برحيله أوجاعهم وجعاً، لكن سورية باقية بأبنائها بعلمائها وأدبائها بمثقفيها بالواعين الذين يعشقون سورية عشقاً أبدياً غير مزيّف أو منفعي حباً يدعو إلى بناء الوطن وإصلاح ما كُسِّرَ منها وخُرِّب وترميم ما انهدم من حبٍ واحترام وغيرها من القيم والبناء والحجر والشجر، وربما كان نضال من أبرزهم وأطهرهم من خلال زيارته عدد من المناطق الساخنة منذ بداية الأزمة السورية ودخوله كوسيط خير يهدئ من روع السوريين ويصلح بينهم ويعيد الحب إلى قلوبهم بعد أن انتزعوه وغيبوه للحظات طويلة جعلت الثمن غالياً جداً، فكان بمبادراته تلك يحمل صفات السوري النبيل الحريص على حفظ كل قطرة دم سوري.

فوداعاً أيها النضال السوري الأصيل في زمن قلَّ فيه المناضلين وشوِّهت فيه معاني النضال والرجولة وباتت الخيانة أسهل اتهام يتهم فيه المرء، والرحمة لروحك الطَّاهرة التي تحمل قداسة لدى كل من عرف قيمك وأخلاقك ونبلك العالية التي ستخلّد ذكراك وتبين أن سورية أنجبت فناناً مبدعاً سرقه الموت باكراً لكن منحه الله ما يكفي ليبصم فيها آثاره التي ستبقى حديث السوريين كلما تابعوا عملاً من الأعمال التي قدمها الراحل، أرقد بسلام يا نضال وما نتمناه أن يحلَّ الله السلام في هذا البلد وأن يبعث الأمن والاستقرار والطمأنينة في قلوب أبنائه ويهديهم إلى كل ما هو خير لسورية.

• **صحفي سوري**

ما زال العرض مستمراً..!

• **إبراهيم الزيدي**

كان..وما يزال.. وسيبقى البقاء للأقوى، أمّا القيم والأخلاق، والتعايش، وحقوق الإنسان، فإنها فرضيّات، يلهو باختبار جدواها أقطاب العالم الجديد في أوقات الفراغ، وهذا ما جعل الدراما كفن تأخذ موقعها المتقدم على الشاشة؛ فهي تحاكي حياة الناس الفعلية، حياتهم كما عاشوها، وليس كما يُفترض أن تكون. فمثالية المسلسلات التاريخية، والنهايات السعيدة لروايات الزمن الرومانسي، أصبحت مدعاة للسخرية، وملاذاً لأحلام البسطاء من الناس، فالسياسة التي أحد وجوهها يتمثل في فن إدارة المصالح، انتبهت لتأثير التلفزيون في حياة الناس، وأهميته في توجيه الرأي العام، فامتدت أصابعها الخفية إليه، وأصبح إحدى أدواتها، لا بل أهمها .

وقد أخذ السوريون مكانهم ومكانتهم في هذا المضمار الفني، إنتاجاً واخراجاً وتمثيلاً. واستقطبت الدراما السورية في العقدين الأخيرين اهتمام أوسع شريحة اجتماعية .ولأن الخيال الإنسانيّ ثنائي بطبيعته، فقد أغمض عينه عمّا يمكن، ليبصر ما هو كائن، وإذ الواقع أكثر سوريالية مما يُعتقد لم يعد السباق بين السوريين والمصريين على إنتاج المسلسلات، بل أصبحت القضية بينهم من جهة، وبين التونسيين والمصريين والليبيين واليمنيين من الجهة الأخرى؛ ليس على إنتاج المسلسلات، بل على إعادة إنتاج الواقع، فالفن بالنسبة للسوريين أسلوب حياة. ولأن العروبة هويتهم، والوحدة هاجسهم، والحرية شعارهم، فقد انتشروا وفق صفاتهم في بلاد الله، فاتجه الدراميون إلى مقاهي الحمرا ببيروت، والمنشقون إلى ساحة تقسيم باسطنبول، واللاجئون إلى مخيم الزعتري في الأردن، والمغرمون بالفول والطعميّة إلى شقيقتهم بهيّة، وهم ينشدون: حسناء قاهرتي، وحسنك قاهري والقاهرات جميعهن حسانُ!

تحولت الدراما إلى حياة يومية، يمارسها المواطن، مع نفسه، ومع الآخرين بالوقت نفسه، وتوزع المنتجون والمخرجون والممثلون على الأرض السورية كافة، من القامشلي إلى درعا، ثمة من يقول: إن الجهات الدولية المعنية بالإنتاج، قد أعجبت بدراما الواقع السوري، ورأت في مشاهدها فنتازيا تليق بالعصر الحديث، لهذا قررت أن تمدد العرض، من خلال إضافة حلقات جديدة للمسلسل، تلهب حماس جمهور الأكشن من جهة، وتحتكر الشاشة، لمصلحة المسلسل السوري الجديد حتى العام 2014، وبذلك يدخل «زمن العار» من «باب الحارة» وينسى الطلاب السوريون «أيام الدراسة»، إذ أن إغراء ما بعد الحداثة يقتضي بالضرورة أن يأخذ المشهد السوري مداه، وتتحول «ساعات الجمر» إلى أيام وأشهر وسنين. لقد أدرك المنتجون الأتراك، أن «سيرة الحب» تستهوي المواطن العربي «على طول الأيام» فالحب يغذي الأمل بحياة أفضل، وفن الدراما معنيّ بهذا الأمل، فالتلفزيون الذي حوّل الناس من كائنات اجتماعية، إلى كائنات متجاورة، لم يعد الحامل الموضوعي الوحيد لتزجية الوقت في حياتهم، فهم «تحت المداس» تنخزهم «أشواك ناعمة» لذلك خرجوا من هذا الإطار، واحتلوا المشهد بجدارة، وانشغل العالم بهم، كما لم ينشغل من قبل، فإذا كان لبنان قد حاز ذات يوم لقب «سويسرا الشرق»، فإن سورية ستكون «هوليوود العرب»، ونصبح فرجة للعالم، ومن المرجح أن ندخل موسوعة غينيس للأرقام القياسية؛ فهذا المسلسل يتوقع خبراء الاقتصاد أنه من أكثر المسلسلات تكلفة عبر تاريخ البشرية الحديث؛ وما زال العرض مستمراً.

• **صحفي سوري**

بادية حسن تغني سوريا عشقاً في بيروت

• سلوى صعب

أحيت الفنانة السورية بادية حسن أمسية غنائية موسيقية على مسرح قصر الأونيسكو في بيروت، حملت عنوان: (أغنيك سورية)، وأدت الفنانة مجموعة من أغاني الفلكلور السوري، وافتتحت الأمسية بأغنية تحية إلى دمشق، من كلمات الشاعر زاهي وهبي.

أطلت الفنانة السورية على جمهورها اللبناني، وتضمن برنامج الحفلة وصلة لأبي خليل القباني (يا مال الشام، يا مسعد الصبحيّة، يا طيرة طيري)، وأغنية من تراث الجزيرة السورية وأغاني من تراث السويداء، بالإضافة إلى أغاني لأسمهان وهيام يونس، كما أدت الفنانة 4 أعمال خاصة بها، تأليفاً ولحناً.

درست بادية حسن، الهندسة المدنية في جامعة تشرين بمدينة اللاذقية، وقد عملت لسنوات في مهنتها هذه إلا أن الغناء سرقها نهائيا من عالم الهندسة، فكانت إطلالتها الأولى في مهرجان الشعر السادس في مدينة الرقة العام 2010، وتوالت بعدها المشاركات في المهرجانات الفنية في تركيا ولبنان وسورية.

فرقة مجازفي الرقة... أكثر من 500 عمل سينمائي وتلفزيوني

• حسام الحمادة

فرقة مجازفي الرقة تأسست في عام 2003، واستطاعت خلال فترة وجيزة أن تجعل لنفسها قاعدة متينة ترتكز عليها في عالم السينما والتلفزيون، الفرقة مؤلفة من 15 مجازفاً يتقنون الأنواع القتالية الفردية والجماعية، يجيدون استخدام الأسلحة، ويمتطون صهوات الجياد، ويركبون القوارب، وشاركوا بأكثر من 500 عمل تلفزيوني.

مؤسس الفرقة ومدربها الأستاذ جمال أحمد الظاهر، وهو من مواليد الرقة1980 خريج كلية الرياضة 2003 بطل الجمهورية بالكاراتيه لمرتين وبالجودو لأربع مرات، وبالكيك بوكسينغ مرة واحدة، والكونغ فو مرة واحدة.

المجازفة بشكل عام هي المخاطرة والقدرة على عمل شيء يعجز عنه الآخرون، وهي جزء من أي عمل في العالم، وللأسف فهي في الوطن العربي غير معروفة، فلا يوجد فيه إلّا فرقتا مجازفة(المغرب، سوريا).

شاركت الفرقة في أعمال ومعارك في دول عديدة عربية وأجنبية نذكر منها (سوريا، الأمارات، قطر، المغرب، مصر، الأردن، لبنان، السعودية، سلطنة عُمان، تونس، تركيا، تايلاند، ماليزيا، اندونيسيا، الهند، باكستان ...الخ).

قدمت الفرقة كماً هائلاً من الأعمال في السينما والتلفزيون سواء كان سورياً أو عربياً وحتى عالمياً، وتنوعت الأعمال مابين الاجتماعي والتاريخي والوثائقي لتتجاوز ثلاثمائة عمل لا مجال لذكرها جميعها لكن نذكر منها، الأعمال السينمائية :(ليلة البيبي دول، وادي الذئاب، طريقة العودة إلى البيت، بوابة مصر، جمال عبد الناصر، أيام الضجر، المهد، فيلم وثائقي ألماني عن سيدنا إبراهيم الخليل..الخ).

ومن الأعمال التلفزيونية: (إخوة التراب، ربيع قرطبة، العوسج، صلاح الدين الأيوبي البحث عن صلاح الدين،

صقر قريش، سيف بن ذي يزن، الظاهر بيبرس، خالد بن الوليد بجزئيه، المرابطون، عنتر بن شداد، بيت جدي، أهل الراية، نمر بن عدوان، وضحة وبن عجلان، باب الحارة 5 أجزاء، التغريبة الفلسطينية، عذراء الجبل، فارس بني مروان، تل الرماد،هدوء نسبي، رجال الحسم، سفر الحجارة، ياسمين عتيق، الولادة من الخاصرة، منبر الموتى...الخ).

كما عملت الفرقة في العديد من الإعلانات والكليبات أهمها: (إعلان برج العرب، كليب عاصي الحلاني حالة قلبي، كليب أصالة نصري أعتز بيك، كليب هاني شاكر بتحبيه، كليب ملحم زين غيبي يا شمس غيبي).

«فينيقا» وشم بيروت... علامة فارقة للفن التشكيلي العربي

• محمد وليد الحاجم

برعاية جوزف أبو رزق وبالتعاون مع الفنانين محمد وحسن عقل، افتتح معرض فينيقا للفن التشكيلي العربي في القاعة الزجاجية، وشارك في المعرض الذي حمل عنوان: «وشم»، نحو 29 فناناً وفنانة من لبنان وفلسطين والسعودية والإمارات وسورية، جمعتهم ثقافة مميزة، وعبّروا عن روح عامة واحدة، دون أن تفقدهم تلك الوحدة حرية التنوع الذاتي فى الرؤى، والأصالة في الإبداع.

نظّم هذه التظاهرة الفنية الفنانان والناقدان التشكيليان السعودي مؤيد منيف والسوري عبود سلمان، في قلب بيروت النابض بالعروبة والأصالة والجمال والإبداع والفن والفكر. ومنهما نجد القول أن قوام الإبداع مسكنه المدن الحضارية والإنسانية والجمالية، وبيروت إحدى أهم عواصم سحر الشرق، ونواة مرجعية لكل إبداع تشكيلي عربي وإنساني!

يقول الفنان والتشكيلي الناقد مؤيد منيف: «تتجلى روح نبض هذا التجمع والتظاهرة الكبرى في مدينه بيروت. في كونها ليست المحطة الأولى لنا في شكل تجمعنا التشكيلي العربي. فقد سبق العرض البيروتي عروضاً في سوريا والجوف والخبر والإسكندرية والرياض وجدة واللاذقية وحلب والدمام، وعلى مدار سنوات قد بدت أولى ملامحها في عام 2000م، واستمرت بإيقاعها

• لوحة الفنانة: رباب أمين

الاحتفائي والاحتفالي، في مسيرة كان لها نبض جمال عطاءها المتدفق بلا حدود. ويضيف منيف: «دائماً في الذاكرة التشكيلية العربية هناك هم الهموم في زرع معالم الحب والجمال والمحبة في سلام. لأننا كلنا نبض إنساني وتشكيلي عربي، وما أجمل أن تكون بيروت في محطاتنا.

بدوره قدم الناقد التشكيلي العربي السوري عبود سلمان زملاءه بقراءاته الجمالية معبراً عن محتوى جماليات كل تجربة على حدى، وقال: «نتابع في لوحات الفنان التشكيلي السعودي مؤيد منيف رؤى تجريدية، تأخذ من الصحراء مدرسة لها، تعالج بألوان المائي والإكريليك والأحبار والرمل، قضايا إنسانية من شمال الجزيرة العربية، وثقافة حضارة سكاكا الجوف، وقيمة التاريخ والقلاع والنقوش فيها، من حناء النساء ومطرزات السدو.

وفي أعمال الفنان التشكيلي اللبناني عباس عقل التي تنتمي لوحاته إلى فن الغرافيك المشغول بالقلم، قلم الحبر الأسود، وقلم الفحم الأسود والحبر الصيني وتلك الرؤى السريالية المشبعة بالأفكار والرؤى.

أما في لوحات الفنان التشكيلي اللبناني المصمم حسن عقل فإننا نجد الكثير من الرؤى الاستشراقية لفن استخدام الحرف العربي في اللوحة الفنية التشكيلية العربية.

في لوحات الفنان التشكيلي السوري هادي قاصوص،

الذي يرسم أعماله على القماش نجد زهاء اللون وبريقه، وصخب خطوطه الملونة، وألوانه بمساحات تجريدية انفعالية.

أما المصورة الضوئية الفلسطينية سعاد شهاب، التي تقدم لوحاتها الضوئية في هذا الملتقى لأول مرة. لتكون أعمالها وأفكارها النافذة على كل ما هو سائد وذلك عبر ما قدمت من لوحات صغيرة الحجم.

الفنانة التشكيلية اللبنانية عبير عربيد قدمت موزاييك لوني وإبداعي يتفرد في حمل هموم الخط واللون.. في ثلاثية تحمل الكثير من خصوصية اللوحة المكتظة بتدرج هارموني ساحر متناسق بألوانه وإيقاعاته.

أما لوحات الفنانة التشكيلية اللبنانية ثريا حلال فتأتي من خلال جماليات الطرح التشكيلي الذي أوقفته على شكل يوميات معاشة عبر جماليات رسم واقع الرجل أو المرأة أو حركة الناس، والنافذة والورد والأشياء الأخرى، كالكرسي أو الباب الشرقي وأصيص النباتات.

الفنان التشكيلي السوري عز الدين عبود (المعتزل) الذي اعتمد في تجربته على السابحة في لوحاته بألوان حارة ومدهشة وصادمة، وهي التي اعتمد فيها على ذاكرته وذكرياته ومشاهداته من الطبيعة والأحداث التي تحيط به، ليعبر عنها في جماليات مختلفة مرات تأخذ من ملوناته الكثير من الانتباه والدهشة، وتكون مصدر إبداعي آخر.

في حين نشاهد تجربة الفنانة التشكيلية اللبنانية سناء حلال التي قدمت أعمالها لأول مرة، وهي أعمال تحاكي الزهور والطبيعة بألوان مائية. كما نبحث في تقنية التصوير الضوئي مع الفنان الضوئي السوري خالد وردي وقيمة الطبيعة الصامتة وتصاويره للبحر والبيوت والناس.

الفنان الفوتوغرافي أنور صالح عراقي أبدع في تصوير الطبيعة اللبنانية من مناظر خلوية وطبيعة صامتة وزهور ونباتات وفواكه وآثار حديثة وقديمة.

وتأتي تجربة الفنان التشكيلي الخطاط فادي العويد من سوريا لتفصح عن جماليات دفينة ما بين شكل جمال رسم الحرف العربي وتجسيده لجماليات حروفه، وذلك عبر ما يشتغل عليه في تقنية تصويره للحرف واللون والتصميم.

كذلك ما قدمه الفنان التشكيلي والخطاط الحروفي السوري غسان إسماعيل عبر ما أظهرت لوحاته في مؤثرات النفس حركية في حرارة دافئة عوالمها الخطية واللونية والتي تشكل الوجه الحقيقي لإبداعه في شكل كتابة لوحته التصويرية التي تقف عند الحرف كقيمة فنية وإبداعية خلاقة.

أما الفنانة التشكيلية وردة فرشخ فهي الفنانة التي تشتغل

• لوحة الفنان: إسماعيل سلمان

في فنها على تجسيد جماليات الطبيعة حول طبيعة جبال لبنان، وبأسلوب تجريبي يميل إلى استخدامات اللون الواحد البني وتدرجاته الهارمونية والمونوكرامية، تبقى تسكن ألوانها أبعاد نفسية تحاول الفنانة الإفصاح عنها في تلافيف داخل العمل الفني.

وعن معالجة الوجه الإنساني في لوحته يظل الفنان التشكيلي النحات إسماعيل سلمان حاضراً في أعماله الفنية المشبعة بتقنيات الرسم التصويري الوحشي المعجون بالدهشة والمفاجآت، والذي نشعر من خلاله بجماليات الحس التعبيري المتناغم ما بين الانفعال وتوشيحات اللون الدرامي.

كذلك الفنانة التشكيلية اللبنانية حليمة الأوسطة التي تقدم أعمالها في مجهود حفظ التراث اللبناني الشعبي حيث تتصدى لفكرة إعادة تدويره جمالياً، وإعادة إنتاجه بعين جديدة، وروح جديدة لتقدم خاصية إبداعها لكل الناس، وتفرح بتقديمه لهذا الزمان الذي يشهد تحولات كبرى، أفقدتنا بعض خصوصيتنا.

وفي لوحات كلثم عبد الله صور ضوئية عن قلاع وبحر دبي وجمال نقوشها على شواطىء أرض الإمارات وصحرائها.

الفنانة التشكيلية اللبنانية ملكة عازار جاءت مشاركتها تجربة هامة حيث رسم الورد والبيوت البيروتية والطبيعة الإنسانية في سحر نبيل.

ومن الأسماء التي قدمت مشاركاتها الفنان التشكيلي نصر الدين عراقي في رسوماته الدقيقة التي كانت مفاجئة للجميع. والفنان عقيل أحمد في تجاربه الحروفية الجميلة، وتجربة الفنانة باسكال مسعود حول أسواق بيروت القديمة، فقد أبدعت في شفافية ألوانها، وجمال لوحتها المشاركة بها. كذلك أعمال حواء حلال وأعمال منى عز الدين عندما قدمت لوحتها حول الناس وألوان الأطفال، في إبداع رائع. وهذا ما قدمته الفنانة رباب أمين في أعمالها الرائعة، والتي تدور حول واقع المرأة وجماليات البيئة المحيطة بها. ومجد أبو كرم في لوحاته وجمال حسه الإبداعي فيها. والفنانة اللبنانية روبي الحلو التي قدمت لوحتين حول الحس التصويري والطبيعة الإنسانية حيث تألق اللون والضوء بهما.

وحسن مداوي وجماليات بلاده وألوانه وواقعيته السحرية التي تغوص في جمال جنوب السعودية، وقدم رؤية كاملة للعين العاشقة في التقاطاتها الجمالية.

«ابكِ كالنساء على مُلك مُضاع لم تحافظ عليه كالرجال»

• الملكة عائشة الحرة

• تمثال السيدة العذراء . جسر الشغور

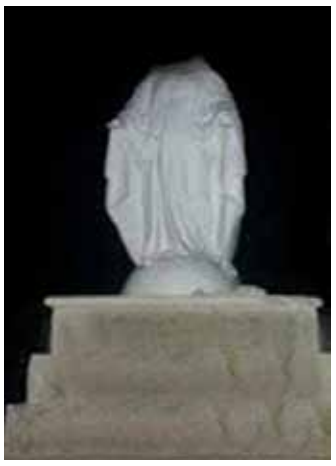

• قلعة جعبر . الرقة

• مئذنة الجامع العمري . درعا

تعرضت معظم الأوابد الأثرية والتاريخية في سورية لانتهاكات الجماعات الإسلامية المتطرفة المتشددة، حيث تم استهداف الجامع الأموي في مدينة حلب، والجسر المعلق في مدينة دير الزور، ومسجد وضريح خالد بن الوليد في مدينة حمص، وهُدم مقام نبي الله إبراهيم في مدينة تل أبيض، ونُبش قبر الصحابي الجليل حجر بن عدي في ريف دمشق والمسجد العمري في درعا... إلخ.

أُحرقت المدينة الأثرية القديمة في حلب، وسوق المقبي في دير الزور، وسُرقت آثار الرقة، واحترقت المكتبة المركزية التي تضم نحو ٣٥ ألف عنوان من أهم المراجع والمخطوطات.

قطعوا رأس الشاعر أبي العلاء المعري في مدينة المعرة بإدلب، وحطموا تمثال عالم الفلك وبطليموس العرب البتاني في مدينة الرقة، وفجروا تمثال الشاعر العربي الطائي في مدينة درعا، وقطعوا رأس السيدة العذراء في مدينة جسر الشغور.

سوريا تعاني من مخاض عسير، فهي لم تعد كما كانت سوريا أورنينا وعشتار وزنوبيا وجوليا دومنا، سوريا نزار قباني وعبد السلام العجيلي ومحمد الماغوط وغادة السمان وزكريا تامر وممدوح عدوان وحنا مينا وحيدر حيدر وأدونيس وسعدالله ونوس... الخ.

يتم العمل بشكل ممنهج اليوم على وأد حضارة ضاربة جذورها في عمق التاريخ.

• جامع خالد بن الوليد . حمص

• الجسر المعلق . دير الزور

• قبر الصحابي حجر بن عدي . ريف دمشق

• تمثال أبي العلاء المعري . معرة النعمان

• الجامع العتيق . الرقة